الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
Ministère de l'enseignement supérieur et de la recherche scientifique

UNIVERSITE 8 MAI 1945-GUELMA
faculté des lettres et des langues
Département de langue et littérature Arabe

جامعة 8 ماي 1945 قالمة
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

N° : ……..

الرقم: ……

مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير

(تخصّص:علوم اللّسان)

رسالة الهناء :لأبي العلاء المعري (398هـ-449هـ)
-مقاربة تداولية-

إعداد الطالبة:
خولة جلالة

إشراف الأستاذة الدكتورة:
فريدة زرقين

تاريخ المناقشة:2016/01/25

لجنة المناقشة:

– أ.د رشيد شعلال	أستاذ التعليم العالي	جامعة 8 ماي 1945 قالمة	رئيسا
– أ.د.فريدة زرقين	أستاذة التعليم العالي	جامعة 8 ماي 1945 قالمة	مشرفا ومقررا
– أ.د.مكي العلمي	أستاذ التعليم العالي	جامعة أم البواقي	ممتحنا
– أ.د آمال لواتي	أستاذة التعليم العالي	جامعة الأمير قسنطينة	ممتحنا

السنة الجامعية : 2015/2014

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير:

الحمد والشكر لله الذي وفقني وأعانني على إنجاز هذا العمل الجاد.

ثم الشكر الجزيل لأستاذتي المشرفةالدكتورة "فريدة زرقين" التي مدت لي يد العون، ومنحتني من جهدها ووقتها الكثير، فصوبت أخطائي وصححت زلات قلمي،لك مني كل الاحترام والتقدير.

كما أتوجه بالشكر الجزيل للأستاذ الدكتور رئيس المشروع "رشيد شعلال" الذي لولا مشروعه لما ولجت باب الدراسات العليا.

ولا يفوتني أن أشكر القيّمين على سير قسم اللغة والأدب العربي من أساتذة وإداريين وعلى رأسهم الدكتور "العياشي عمير".

وأخيرا أتوجه بالشكر الجزيل إلى كل من ساعدني من قريب أو من بعيد على إنجاز هذا البحث العلمي.

إهداء

إلى كل من ينبض قلبه بحب العلم...

مقدمة

تعد اللغة وسيلة أساسية من وسائل الاتصال بين الأفراد، فهي تمثل اجتماعية الإنسان، وقد حظيت بنصيب وافر من الاهتمام والدراسة مما أدى إلى ظهور مدارس كثيرة تعددت أشكالها في دراسة اللسان البشري، ولقد لعبت المناهج الحديثة دورا فعالا في تنمية الدرس اللساني، وما قدمته من نتائج في تحليل اللغة ودراستها، ولربما بعض منها نشأ ردا على المناهج السابقة. ويعد المنهج التداولي أحد أهم المناهج التي استطاعت أن تفرض نفسها في فترة زمنية قصيرة باعتباره مبحثا من مباحث الدراسات اللسانية، وعلما تواصليا جديدا يهدف إلى دراسة اللغة في علاقتها بالسياق، فيهتم بالمتكلم باعتباره عنصرا فاعلا في الخطاب ويراعي حال السامع، كما لا يهمل الظروف الخارجية المحيطة بالعملية التواصلية، ويحاول أن يستفيد منها في سبيل الوصول إلى المعنى الذي يقصده المتكلم، وهو ما أسهم في فتح آفاق جديدة أمام الدرس اللغوي، ودفع الباحثين إلى تطبيق هذا المنهج و استثماره خاصة في دراسة التراث العربي.

و من هذا المنطلق أردنا أن تكون مدونة هذا البحث رسالة من التراث العربي على اعتبار أنها صورة مهمة من الصور التي تجسد تداول اللغة بين مستعمليها كما أنها تعد قالبا يحوي أفكارا وآراء لطرف يسعى إلى إيصال فكرة ما.

وقد كانت الرسالة- بعد الشعر والخطبة – عاملا مهما في تبادل المعارف والآراء، وانطلاقا من هذه الأهمية اكتسبت الرسالة مكانة متميزة لا تقل عن تلك التي اكتسبها الشعر والخطبة والمناظرة.

وجاء اختيار" رسالة الهناء" لتكون نموذج هذه الدراسة، وهي مدونة تراثية لها بالغ الأهمية لما تحمله في طياتها من ثراء لغوي وهي رسالة بعث بها "أبو العلاء المعري" إلى بعض معاصريه من الكبراء يهنئه فيها بقدوم وزير السلطان" شبل الدولة" إليه ونزوله عليه.

وانطلاقا من قراءة هذه الرسالة جاء البحث موسوما بـ:" رسالة الهناء لأبي العلاء المعري – مقاربة تداولية".

ولم يكن اختيار هذا الموضوع اعتباطيا، وإنما يرجع لعدة أسباب نذكر منها:

- رغبتي الشديدة في دراسة التراث العربي الذي يغذي الفكر وينميه، وكذا قراءته من منظور حداثي قصد تجديده .
- عدم تطرق الباحثين – فيما أعلم – لرسالة الهناء بالبحث والدراسة على الرغم مما تمتلكه من خصوصيات تجعلها مجالا خصبا لهذا الطرح، بل تركزت جل الدراسات على" رسالة الغفران" و"رسالة الملائكة".
- ما يمتاز به الكاتب الفيلسوف" المعري" من أسلوب رائع في الكتابة - إلى جانب كونه شاعرا متميزا- فهو واحد من كبار الأدباء العرب في العصر العباسي، كما أنه من أكثر الشخصيات الأدبية عمقا وثراء في اللفظ والمعنى.
- ما يميز المنهج التداولي باعتباره منهجا حداثيا على غرار المناهج التي سبقته من دقة الغوص في أعماق النصوص الأدبية، والكشف عن كنهها.

لهذه الأسباب وغيرها آثرت الخوض في هذا الموضوع الذي ما فتئ يثير في نفسي عدة تساؤلات يمكن إجمالها في:

- كيف استهل المعري رسالته ؟
- كيف استغل السياق في التواصل مع مراسله ؟
- ما هي الاستراتيجيات التي اتبعها في خطابه بهدف الوصول إلى إقناع مراسله؟
- كيف تجلت المرتكزات التداولية في رسالة الهناء؟ وما الآليات الإشارية التي ركز عليها المعري؟

- ما هي الأفعال الكلامية التي استعملها مع متلقي الرسالة؟ وكيف ساهمت في التفاعل معه؟

ومن خلال التماشي مع الإجابة على هذه الإشكالية، وطبيعة الموضوع اتبعنا المنهج التداولي في هذه الدراسة.

وإيمانا مني بأن أية دراسة علمية لا بد وأن تتطلب من الباحث وضع خطة محكمة توجهه حتى يصل إلى مبتغاه، وبقدر ما تكون تلك الخطة واضحة المعالم، سهلة المسالك يكون الولوج بمقتضاها إلى الموضوع أيسر وأوضح وأدق، وانطلاقا من ذلك قسمت البحث إلى: مقدمة وفصل تمهيدي وفصلين تطبيقين، وخاتمة كالآتي:

مقدمة: تحددت فيها أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، والإشكالية المطروحة والمنهج المتبع في الدراسة، وخطة البحث، وأهم المصادر والمراجع، وكذلك الدراسات السابقة التي تناولت الموضوع، ثم الصعوبات التي واجهتني خلال مسيرتي مع هذا الموضوع.

الفصل الأول: جاء تحت عنوان حدود ومفاهيم، عرّفت فيه بالمدونة موضوع الدراسة، ثم مفهوم التداولية ونشأتها وتطورها.

الفصل الثاني المعنون بـ: "العملية التواصلية واستراتيجيات الإقناع" تحدثنا فيه عن أول ما يصادف متلقي الخطاب و هو الاستهلال لما له من أثر كبير على نفسية المتلقي، و باعتباره أول ما يلامس فكر السامع أو قارئ هذه الرسالة، ثم حاولنا معرفة السياق لنستفيد منه في إبراز البعد المقصدي في الرسالة، وكيف تمكن المعري من إقناع مخاطبه من خلال توضح الحجج المعتمدة.

وجاء الفصل الثالث: تحت عنوان" تجليات المرتكزات التداولية" وذلك من خلال استقصاء هذه المرتكزات ومعرفة مدى تجليها، فتطرقت إلى: الإشاريات، والافتراض المسبق، والاستلزام الحواري، وأخيرا الأفعال الكلامية التي تعتبر من أهم المرتكزات التي قامت عليها التداولية، وكيف ساهمت في التفاعل مع المتلقي.

ثم أنهينا البحث بخاتمة تحمل النتائج المتوصل إليها من خلال مرحلة التعايش مع البحث.

وقد أثارت التداولية انتباه الدارسين والباحثين العرب: فاستفاضوا البحث فيها، نذكر على سبيل المثال لا الحصر:

- مسعود صحراوي في كتابه:" التداولية عند العلماء العرب – دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي.

- محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر.
- عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب -مقاربة لغوية تداولية-.
- صابر الحباشة: التداولية والحجاج" مداخل ونصوص".
- خليفة بوجادي: في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم.

وغيرها من البحوث والدراسات اللغوية التي حاول فيها الباحثون الولوج إلى أسرار التراث العربي من خلال المنهج التداولي.

وعلى الرغم من هذا الغنى في الدراسات والمراجع، إلا أن البحث لم يخل من صعوبات تمثلت في أسلوب المعري في الكتابة الذي يمتاز بصعوبته مما تطلب

جهدا في تحليل الرسالة من خلال المنهج التداولي؛ الذي اختلفت مصطلحاته وتنوعت آليات التحليل فيه من باحث إلى آخر.

وفي الأخير أتقدم بالشكر الجزيل لأستاذتي المشرفة الأستاذة الدكتورة " فريدة زرقين" على ثقتها فيّ حين قبولها الإشراف على هذا البحث، وعلى مدها يد المساعدة من خلال الملاحظات والتوجيهات القيمة، وعلى حسن معاملتها.

وأتوجه بالشكر الخالص لكل الأساتذة والإداريين في قسم اللغة والأدب العربي وعلى رأسهم الدكتور "العياشي عمياز".

كما أشكر أعضاء لجنة المناقشة على قراءة هذا البحث من أجل تقييمه و إثرائه، وكل من قدم لي العون من أساتذة وزملاء. ولله الفضل أولا وقبل كل شيء فهو الموفق و به نستعين.

قالمة في: 2015/06/15.

الفصل الأول:

حدود ومفاهيم

1- تعريف بالمدونة وصاحبها

2- مفهوم التداولية

3- نشأة التداولية وتطورها

1 - تعريف بالمدونة وصاحبها:

إذا كان الأدب الجاهلي يعتبر بمثابة اللبنة الأولى من لبنات الأدب العربي والأساس الذي بُني عليه عبر مختلف العصور والمراحل المتعاقبة من الزمن معتبرينه أكثر الآداب العربية دقة في تصوير الحياة العربية الأصيلة، والفكر العربي الخالص. فإن الأدب العباسي يمثل مرحلة النضج الفكري لما وصلت إليه الحياة العربية آنذاك من تقدم ورقي وازدهار على كافة الأصعدة، وفي مختلف المجالات، فقد تنوع الأدب في هذه المرحلة وتعددت الأغراض والفنون وكثرت المؤلفات التي تعالج مختلف الأشكال الحياتية من دين وفلسفة وحياة اجتماعية...إلخ، وقد بلغ النثر في هذا العصر مرتبة رفيعة من حيث الصياغة والمضمون. فصاغ بعض الأدباء صفحات فنية تخيروا فيها أجمل الألفاظ، وأبلغ العبارات وألفوا في: الأخبار، والتاريخ، والعلوم، والأدب ووضعوا الرسائل وها نحن الآن بصدد دراسة عينة من هذا الأدب، وقبل التعريف بهذه الرسالة كان لابد لنا من التعرف على "أبي العلاء المعري" هذه الشخصية الفذة التي اختلف الناس حولها منذ أن ماتت وحتى خلال حياتها، وانقسموا إلى فرق ومذاهب في نقدها.

هو "**أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان المعري التنوخي** " الشاعر الفيلسوف المتفنن؛ وهو عربي النسب من قبيلة " **تنوخ**" من بطون " **قضاعة**" من بيت علم و قضاء. ولد بـ "**معرة النعمان**" سنة (398 هـ)، وجُدر في الثالثة من عمره فكف بصره وتعلم على أبيه وغيره من أئمة زمانه، كان يحفظ كل ما يسمعه من مرّة، وقال الشعر وعمره إحدى عشر سنة [1]، فهو شاعر ومفكر له فلسفة خاصة في الحياة .

[1]- السيد أحمد الهاشمي: جواهر الأدب، دار الفكر، بيروت-لبنان، ط 1،1431 هـ - 1432 هـ، ج 1،ص 265.

فقد نأى بنفسه عن الناس، واعتزل مجتمعه، وحاول أن يتعالى فوق قيود الزمان والمكان، حيث أرّقه التفكير في الغيبيات والأديان، كانت نظرته إلى الدنيا نظرةً ملؤها الكره والتشاؤم، فقد نقم على الناس واعتبرهم غير مبالين بما هم فيه منغيٍّ، وظلال فاعتزلهم لشرورهم [1]،ولم يبرح منزله، ونسك وسمى نفسه "رهين المحبسين": محبس العمى، ومحبس المنزل، وبقي فيه مُكِباً على التدريس والتأليف ونظم الشعر، وترك "المعري" أكل لحوم الحيوان، وما يخرج منه مدة 45 سنة، مكتفيا بالنبات متعللا بأنه فقير، وأنه يرحم الحيوان [2]،إلى أن توفي يوم الجمعة الثاني من شهر ربيع الأول سنة(449هـ)، وعمره "ستة وثمانون عاما "، شائع الذكر عالما باللغة تاركا خلفه زخما من المؤلفات الشعرية والنثرية [3]، كان من أبرزها:

-رسالة الغفران: وهي جواب عن كتاب بعث به "ابن القارح" إلى أبي العلاء المعري، يشكو فيه حظه من الحياة، ويقر بتوبته بعد أن قضى أيام شبابه فيما لا يرضي خالقه، فطال الجواب حتى تعدى عشرات الصفحات، واندرج تحت عنوان: "رسالة الغفران"، وقد هاجم فيها الباطنيات المألوفة.[4]

-سقط الزند: شعره في أيام شبابه، وقبل رحيله إلى بغداد.

-الفصول والغايات: في تمجيد الله تعالى والعِظات، وهو كتاب موضوع على حروف المعجم، وأراد بالغايات القوافي، لأن القافية غاية البيت.

---

[1]- عبد القادر زيدان: قضايا العصر في أدب أبي المعري، دار الوفاء، لدنيا الطباعة، الإسكندرية-مصر، ج 1، ط 1،2006 م ص 90.

[2]- السيد أحمد الهاشمي: جواهر الأدب، ص 265.

[3]- جعفر خريباني: أبو العلاء المعري-رهين المحبسين، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط 1،1411 هـ - 1990م، ص 12.

[4]- جبور عبد النور: المعجم الأدبي ، دار العالم للملايين، بيروت-لبنان، ط 2، يناير 1984 م، ص 468-469.

وقيل إنه عارض السور والآيات، تعديا وظلما.

-لزوم ما لا يلزم: أواللزوميات، وهو سفره الخالد الذي بني على حروف المعجم.
-أقليد الغايات: وهو يشتمل على تفسير اللغز.
-الأيك و الغصون: ويعرف بكتاب "الهمز و الردف".
-تاج الحرة: وهو كتاب في عظات النساء.
-سيف الخطبة: وهو يشتمل على خطب السنة.
-ديوان الرسائل، وقفة الواعظ، دعاء الساعة وغيره من المؤلفات والرسائل[1].

أما مدونة الدراسة والمتمثلة في "**رسالة الهناء**" فهي رسالة بعث بها "أبو العلاء"إلى بعض معاصريه من الكبراء يهنئه فيها بقدوم السلطان "شبل الدولة" إليه، ونزوله عليه[2].وقداكتنفهذه الرسالة بعض الغموض نظرا لحذف الأسماء فهو لم يذكر اسم من كتبإليه، بل حذف كنيته واستعيض منها بكنية "أبي فلان"، أما الضيففكناه "بأبي علي"، وفي هذا بعد تداولي يجب استثماره، فالمعري له أسلوبه الخاص، ولغته الخاصة، كما اعتنى المعري في هذه الرسالة شرح ألفاظه، وتجلية ما استتر من معانيه، فقد خاطبمعاصره، وهنّ أه، وأثنى عليه، ثم اتبع بالاعتذار منه، حتى لا يجرح كرامته، متلمسا منه الصفح لتجرئه على مكاتبته، وتهجمه على مقامهأولا، وفي شرح ما كتب إليه ثانيا، فيقول: "وقد اتبعت هذا بتبيين ألفاظهفيه، ليكون الهذيان كاملا، والمرض-لفضوله-شاملا"[3]

فـ"أبو العلاء المعري "اعتبر نفسه غير حري بمنزلة من بعث له برسالة لأن التهنئة لاتقع- في نظره- إلا بين الأكفاء، ولا يحسن تبادلها إلا بين النظراء، ومن

(1)- جعفر خريباني: أبو العلاء المعري-رهين المحبسين، ص 18-19.
(2)- أبو العلاء المعري: رسالة الهناء، تحقيق: كامل كيلاني ، دار الآفاق الجديدة، بيروت-لبنان، 1979 م، ص3.
(3)-المصدرنفسه ص 20.

المحظور أن تجيء التهنئة من غير الكفء أو النظير، فضرب في ذلك عدة أمثال لتأييد ما ذهب إليه.[1]وحتى نتبين كنه هذه الرسالة حاولنا دراستها من خلال المنهج التداولي الذي يعتبر أحدث المناهج التي تعمل على فهم النص وسبر أغواره.

2 مفهوم التداولية:

تركز اهتمام علماء اللغة وفلاسفتها لفترة طويلة على دراسة النواحي المجردة للغة، وأهملوا كل ما له علاقة بالاستعمال اليومي للغة، ودفعوا به إلىما سموه "قمـــامـــة اللسانيـــات La poubelle de linguistique"،وهوتعريفيحملفي طيه استعارة جارحة أطلقه البعض على التداولية ، فكانت بذلك "سلة للمهملات"، أو قل "جرابا جديدا توضع فيه الأعمال الهامشية التي لا تنتميإلى الاختصاصات المؤسّسية، وهي اللسانيات وعلم الاجتماع، والأنتروبولوجيا،وعلم النفس الاجتماعي، والدلائلية...إلخ نحو المشاكل التي أثارتهاهذه الاختصاصات ولم تتوصل إلى معالجتها بشكل مُرضٍ" [2]، فنشأت بذلك التداولية في ظل هذه الأعمال ،وعُدّت ملتقى لمصادر أفكار وتأملات مختلفة يصعب حصرها [3]،وكان من نتائج هذا التداخل المعرفي أن اتسعت حدودها، وبات من الصعب تحديد مفهوم واضح لها نحو قول "**فرانسوازأرمينكو**"هي:"درس جديد وغزير إلا أنه لا يملك حدودا واضحة ... وتقع التداولية كأكثر الدروس حيوية في مفترق طرق الأبحاث الفلسفية واللسانية"[4].

---

[1]– المصدر السابق ص 45–46–47.

[2]– فليب بلانشيه: التداولية من أوستين إلى غوفمان، ترجمة: صابر الحباشة، دار الحوار، اللاذقية– سوريا، ط1،2007،ص17 .

[3]– خليفة بوجادي: في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة، العلمة– الجزائر، ط1،2009،ص63.

[4]–فرانسوازأرمينكو: المقاربة التداولية: ترجمة: سعيد علوش، المؤسسة الحديثة، ط1،1987،ص11.

وللوقوف على أبرز مفاهيم التداولية كان لابد من التطرق أولا إلى المفهوم اللغوي.

أ-المفهوم اللغوي:

يرجع مصطلح التداولية في أصله العربي إلى الجذر اللغوي "دَوَلَ".جاءفي(**لسان العرب)** مادة [دَوَلَ]: "الدَّولة والدُّولةُ: العُقْبَة في المال والحرب سواء، وقيل:الدُّولةُ، بالضم في المال،والدَولة، بالفتح، في الحرب، وقيل:بالضم في الآخرة، وبالفتح في الدنيا...، والجمع دُولٌودَولٌ. الدُّولة اسم الشيء الذي يُتداول، والدَّولَةُ الفعل والانتقال من حال إلى حال. وتَدَاوَلْنَا الأمر: أخذناه بالدُّوَل.وقالوا: دَوَالَيْكَ أي مُدَاوَلَةً على الأمر...ودَالَتِ الأيام أي دارت، والله يُدَاوِلُهَا بين الناس. و تداولته الأيدي:أخذته هذه مرَّة وهذه مرّة. ودَال الثوب يَدُولُأي بَلِيَ"[1].

وجاء في(**مقاييس اللغة**):"دَوَلَ: الدال والواو واللام أصلان: أحدهما يدل على تحول الشيء: من مكان إلى مكان، والآخر يدل على ضعف واسترخاء. اندال القومُ، إذا تحوَّلُوا من مكان إلى مكان، وتَداول القومُ الشيء بينهم، إذا صار من بعضهم إلى بعض...، لأنه أمر يَتَدَاوَلُونَه، فيتحول من هذا إلى ذاك ومن ذاك إلى هذا"[2].

وفي " **كتاب العين** ":"دَوَلَ: الدُّولَةُ والدَّوْلَةُ لغتان، ومنه الإدالة، قال الحجَّاج: إن الأرضَ ستُدالُ منَّا كما أدَلْنَا منها، أي نكون في بطنها كما كنَّا على ظهرها"[3].

---

[1]-- ابن منظور: لسان العرب، دار الحديث، القاهرة، مجلد3، 1423 هـ،2003م مادة دول ص450-451.

[2]- أبو الحسن أحمد بن فارس: مقاييس اللغة، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، مجلد 1،ط1، 1420هـ ،1999م مادة دول ص426.

[3]-أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين، تحقيق : مهدي المخزومي، السمرائي، ج 8، د ط ، د ت ص70.

كما ور دفي " **القاموس المحيط** ": "الدَّوْلَةُ انقلاب الزمان، والعقبة في المال...، وتُدَاوَلوهُ:أخذُوه بالدُّوَلِ. ودَوَالَيْكَ:أي مدَاوَلَةً على الأمر، أو تَدَاوُلٌ بعد تَدَاوُلٍ...وأَدَالنا الله تعالى من عَدُوِّنَا: من الدَّوْلَة.والإدَالَة: الغَلَبَة.ُ ودَالَتِ الأَيَامُ: دارَتْ، والله تعالى يُداولها بين الناس. والدَّوْلُ: لُغةٌ في الدَّلْوِ، وانقلاب الدَّهْرِمن حال إلى حال، وبالتحريك: النَّبْلُ المُتَدَاوَلُ"[1].

من كل ما سبق نلاحظ أن الجذر اللغوي(دَوَلَ) لا تكاد تخرج دلالته عن معاني: التبدل والتحول والانتقال من حال إلى حال أو من مكان إلى آخر،"ومجموع هذه المعاني يقتضي وجود أكثر من حال، ينتقل بينها الشيء، وتلك حال اللغة،متحولة من حال لدى المتكلم إلى حال أخرى لدى السامع، ومتنقلة بين الناس يتداولونها بينهم، ولذلك كان مصطلح(تداولية) أكثر ثبوتا – بهذه الدلالة– من المصطلحات الأخرى: الذرائعية النفعية، السياقية..."[2].

وقد أعطى الدكتور"**طه عبد الرحمن** " مفهوما للفعل"تداول" بقوله:"من المعروف أن الفعل "تدَاوَلَ" في قولنا: "تَدَاوَلَ الناس كذا بينهم" يفيد معنى "تناقله الناس وأداروه فيما بينهم" ومن المعروف أيضا أن مفهوم"النقل" ومفهوم "الدوران" مستعملان في نطاق التجربة المحسوسة، فيقال: "نقل الكلام عن قائله" بمعنى رواه عنه، كما يقال:"نقل الشيء عن موضعه" أي حركه منه، ويقال:"دار على الألسن" بمعنى جرى عليها، كما يقال:"دار على الشيء" بمعنى طافحوله، ف"التنقل" و"الدوران" يدلان بذلك، في استخدامهما اللغوي، على معنى النقلة بين الناطقين،أو قل معنى:"التواصل" ويدلان في استخدامهما التجريبيعلى معنى الحركة بين الفاعلين، أو قل على

---

[1]–الفيروز أبادي: القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت–لبنان، ط 8، 1426 هـ،2005م ، ص1000–1001.

[2]– خليفة بوجادي: في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، ص148.

معنى"التفاعل"، فيكون التداول جامعا بين جانبين اثنين هما: التواصل والتفاعل، فمقتضى"التداول" إذا أن يكون القول موصولا بالفعل"[1].

فالتداول إذا يحمل معنى التواصل بين المتخاطبين والتفاعل فيما بينهم.

كما وردت التداولية بمعناها اللغوي في بعض الآيات القرآنية نذكر منها: قوله تعالى في سورة البقرة،الآية(188): (وَلاَ تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالبَاطِلِ وتُدْلُوا بها إلى الحُكَّام لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا من أَمْوَالِ النَّاسِ بِالإِثْمِ وأنتم تَعْلَمون) .

أي لا يأكل بعضكم أموال بعض فيما بينكم بالباطل أي من غير الوجه الذي أباحه الله، وتدلوا بها إلى الحكام، يعني تخاصموا بأموالكم إلى الحكام.

وقوله أيضا عزَّ وجلَّ في سورة آل عمران، الآية (140):"وتِلْكَ الأَيَامُ نُدَاوِلُهَا بينَ النَّاس"، أي نجعلها دُوَلاً بين الناس مصرَّفة، ويعني "بالنَّاس"المسلمين والمشركين. وذلك أن الله عز وجل أدال المسلمين من المشركين ببدر، فقتلوا منهم سبعين، وأسروا منهم سبعين. وأدال المشركين من المسلمين بأحد، فقتلوا منهم سبعين، سوى من جرحوا منهم.يقال:"أدَالَ الله فلاناً من فلانٍ،فهو يُدِيله منه إدَالَة"، إذا ظفر به فانتصر منه مما كان نال منه المُدَال منه، وحدثنا محمد بن الحسين قال:حدثنا أحمد قال: حدثنا الأسباط السدي :"وتلك الأيامُ نُدَاوِلُها بين النَّاس" يوم لكم ويوم عليكم، أي تكون مرّة للمؤمنين ليعزهم الله عز وجل، وتكون مرة للكافرين إذا عصى المؤمنون. فأما إذا لم يعصوا فإن حزب الله هم الغالبون.[2]

---

[1]– طه عبد الرحمن: تجديد المنهج في تطوير التراث، المركـز الثقافـي العربي، بيروت– لبنان ط 2، د ت،ص244

[2]– ينظر: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري: تفسير الطبري، ج 8 ، ص 239–240 و أبو جعفر النحاس: معاني القرآن الكريم، تحقيق: محمد علي الصابوني، جامعة أم القرى،ج1، ط1408،1 هـ،1988م ، ص482.

وقوله سبحانه وتعالى في سورة الحشر ،الآية (7):"مَا أَفَاءَ الله على رَسُولِهِ من أَهْلِ القُرَى فَلِلَّهِ وِلِلرَّسُولِ وَلِذِي القُرْبَى وَاليَتَامَى والمَسَاكِينِ وابن السَّبِيلِ كَي لَا يَكُونَ دُولَةً بينَ الأَغْنِياءِ مِنْكُم ومَا آتَاكُم الرَّسُولُ فَخُذُوه ُومَا نَهَاكُمْ عنه فانتَهُوا واتَّقُوا اللّهَ إنَّ اللّهَ شَدِيدَ العِقَاب"؛ أي كي لا يكون ذلك الفيء دُولة بين الأغنياء–الرؤساء– يعمل به كما كان يُعمل في الجاهلية ونزل في الرؤساء:" و مَا آتَاكُم الرَّسُولُ فَخُذُوه ومَا نَهَاكُم عنه فانْتَهُوا " فرضُوا... والدُولة في الجيشين يهزم هذا هذا، ثم يهزم الهازم، فتقول: قد رجعت الدولة على هؤلاء،كأنها المرة، والدُّولة في المِلْك والسُنن التي تغيّر وتبَّدل. والدُولة في هذا المعنى: أن يكون ذلك المال مرّة لهذا ومرَّة لهذا.[1]

فقد استعملت التداولية بمعناها اللغوي في هذه الآيات لتدل على التغير والتبدل والانتقال من حال إلى أخرى وهي معاني تدل على عدم الثبوت والاستقرار، فهي تؤول بحسب السياق التي ترد فيه.

وتعود كلمة(التداولية)في أصلها الأجنبي " Pragmatique":إلى الكلمة اللاتينية"Pragmaticus"، والتي يعود استعمالها إلى عام: 1440م، ومبناها على الجذر"Pragma"،ومعناها الفعل"Action" ثم صارت الكلمة تطلق على كل ما له نسبة إلى الفعل أو التحقق العملي، لتدل على كل ما يمكن تطبيقهُعمليا، ثم تسللت في وقت لاحق إلى اللغة المستعملة. [2]وتعني التداولية في معجم تحليل الخطاب"مفهوم يستعمل اسما "التداولية" كما يستعمل صفة"مقاربة تداولية"، وقيمته على عدم استقرار

---

[1]– ينظر: أبو زكريا يحي بن زياد الفراء: معاني القرآن ،عالم الكتب، بيروت–لبنان،ج3،ط3 ،1403هـ– 1983 م ص 145 و الأخفش الأوسط: معاني القرآن ،تحقيق: هدى محمد دقراعة، مكتبة الخانجي القاهرة–مصر، ج 4، ط 1 ،1990،1411م ، ص538

[2]– نواري سعودي أبو زيد: في تداولية الخطاب الأدبي المبادئ والإجراء، بيت الحكمة، العلمة– الجزائر، ط1،2009م، ص18.

شديد: فهي تسمح في نفس الوقت بتعيين فن فرعي من اللسانيات ونزعة ما في دراسة الخطاب، أو بصفة أوسع تصوّر ما للّغة".[1]

فقد عدَّت بذلك فرعا من فروع اللسانيات يهتم بدراسة الخطاب بصفة عامة. كما يعني مصطلح التداولية:"دراسة استخدام اللغة في شتى السياقات والمواقف الواقعية، أي تداولها عمليا، وعلاقة ذلك بمن يستخدمها" [2]،فهي إذا دراسة اللغة أثناء استعمالها في السياقات والمواقف المختلفة، كما تهتم بالعملية التخاطبية أثناء التواصل.

ب-المفهوم الاصطلاحي:

ب1-عند الغرب:

يعد تعريف " **تشارلز موريس CharlesMorris**""1938م"أقدم تعريف للتداولية، وذلك في مقال له كتبه في موسوعة علمية ميَّز فيه بين مختلف التخصصات التي تعالج اللغة، وقد فرّق بين قواعد نحوية وقواعد دلالية وقواعد براغماتية. وفيما يتعلق بالقواعد البراغماتية التي تتجاوز حسب رأي كثير من اللغويين حدود علم اللغة يقول:"تقدم القواعد البراغماتية الشروط التي تستخدم في إطارها تعبيرات من حيث أن تلك الشروط لا يمكن أن تصاغ بمفاهيم القواعد النحوية والدلالية"[3]. كما يقر أنه يوجد في كل القواعد مكون براغماتي. وقد عَدّ التداولية جزءًا من السميائية، حيث وصف العلاقات بين العلامات اللغوية، ومستخدمي هذه العلامات بأنها علاقات براجماتية رغم أنها تعتبر بالنسبة لكثير من

---

[1]- باتريك شارودو- دومينيك منغنو: معجم تحليل الخطاب ،ترجمة عبد القادر المهيري-حمادي صمود، مراجعة: صلاح الدين شريف، دار كريتاس سيناترا، تونس، دط،2008م، ص442.

[2]- محمد عناني: المصطلحات الأدبية الحديثة، الشركة المصرية العالمية للنشر-لونجمان، الجيزة-مصر، ط3،2003م، ص76.

[3]-آن زتسيسلاف و أورزنياك: مدخل إلى علم النص، ترجمة: سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار، ط1، 1424 هـ - 2003 م،ص86 .

الباحثين دلالية فقط، ليصل إلى أنالتداولية جزء من السميائيةالتي تعالج العلاقة بين العلامات ومستعملي هذه العلامات. باعتب ارها تهتم بدراسة علاقة العلامات بمستخدميها، وهو تعريف واسع يتعدى المجال اللساني إلى غيره من المجالات غير اللسانية(المجال السيميائي)[1] . على أن التداولية لم تصبح مجالا يعتد به في الدرس اللغوي المعاصر إلا في العقد السابع من القرن العشرين على يد كل من" **أوستين**" "j-Austine"و"**جونسيرل**""J-Searl"و"**بول غرايس**""Paul grice" وهم من مدرسة فلسفة اللغة الطبيعية"Langage Natural" الذين اهتموا بطريقة توصيل معنى اللغة الإنسانية الطبيعية من خلال إبلاغ مرسل رسالة إلى مستقبل يفسرها- وهذا العمل من صميم التداولية- ويرى "**أوستين**" أن التداولية اتجاه تتلاقى فيه على وجه معين ميادين من المعرفة المختلفة التي تتضافر لإيصال المعنى فهدفها إذا هو الاتصال والتبليغ، على أن التداولية تولي أهمية قصوى للشروط الخارج لغوية" Extra Linguistique"، والمتعلقة بالسياق والمقام، والمتكلمين، ومقاصدهم، وحيثيات الاستعمال، والأفعال اللغوية [2]، كما عرّف " **فان ديك** " " Van Dick" التداولية ووصفها بأنها علم يتداخل مع العديد من التخصصات يدرس كل ما له علاقة بالمنطوقات اللغوية، فهي إذا تسهم بشكل فعّال في التفاعل الاجتماعيوالتواصل، فالتداولية عنده"تختص بوصفها علما يختص بتحليل الأفعال الكلامية ووظائف منطوقات لغوية وسماتها في عمليات الاتصال بوجه عام".[3]

---

[1]-ينظر: فان ديك: علم النص مدخل متداخل الاختصاصات، ترجمة: سعيد حسن بحيري، دار القاهرة للكتاب، القاهرة-مصر، ط1،2001م، ص115. وآن روبول- جاك موشلار: التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ترجمة: سيف الدين دغفوس محمد الشيباني، مراجعة: لطيف زيتوني، بيروت- لبنان ط1،2003 م، ص29 .

[2]-ينظر: محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة، د ط، 2002م، ص9-10و الجيلالـــيلاش: مدخل إلى اللسانيات التداولية، ترجمة: محمد يحياتن، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1992 م،ص 11. و ادريس مقبـــول: البعد التداولي عند سيبويه، عالم الفكر،العدد 1، المجلد 33يوليو-سبتمبر2001، ص145-246 .

[3]-فان ديك: علم النص مدخل متداخل الاختصاصات ص 114.

أما "**آن ماري دبير** "و "**فرانسوازريكاناتي**" فيعرّفانها بقولهما:"التداولية هي دراسة استعمال اللغة في الخطاب، شاهدة في ذلك على مقدرتها الخطابية"[1]. فهي إذا تهتم بجميع شروط الخطاب وإدراك دلالته والإحاطة بمعانيه، ولا يتسنى ذلك إلا من خلال الاستعمال.

وعرّفها:"**فرانسيس جاك** "بقوله: "تتطرق التداولية إلى اللغة: خطابية وتواصلية واجتماعية"[2]، فهي تدرس اللغة في سياق استعمالها وتراعي كل ما يحيط بها من جوانب وظروف خارجية. وعرّفها" **إيليوار**" بأنها إطار معرفي يجمع مجموعة من المقاربات تشترك عند معالجتها للقضايا اللغوية في الاهتمام بثلاثة معطيات هي:المتكلمين والسياق والاستعمالات العادية للكلام، لما لها من دور فعال في توجيه التبادل الكلامي.[3]

وعلى وجه العموم تعرّف التداولية بأنها دراسة استعمال اللغة مقابل دراسة النظام اللساني الذي تعنى به تحديدا اللسانيات فالتداولية محاولة للإجابة عن أسئلة من قبيل: ماذا نصنع حين نتكلم؟ وماذا نقول بالضبط حين نتكلم؟ من يتكلم وإلى من يتكلم؟ من يتكلم ومع من يتكلم؟ من يتكلم ولأجل من؟ ماذا نقصد حين نتكلم؟....[4]

ب2-عند العرب:

إن الوقوف على مفهوم محدد للتداولية يعد من الصعوبة بمكان نظرا لتنوع مشاربها، واختلاف منطلقاتها حتى أنها لا تكاد تستقر على مصطلح ثابت خاصة عند ترجمتها إلى اللغة العربية فقد تعددت التسميات المقابلة للمصطلح

---

(1) - فرانسوازأرمنكو: المقاربة التداولية ص12.
(2)-المرجع نفسه ص13.

(3)- خولة طالب الإبراهيمي: مبادئ في اللسانيات، دار القصبة للنشر، حيدرة-الجزائر،ط 2، د ت، ص176-177.
4- فرانسوازأرمنكو: المقاربة التداولية ص8.

الأجنبي"Pragmatique"، فهناك من تركها على أعجميتها فسميت: البراغماتية ،والبراغماتيكوالبراجماتية و البراجماتيك، وليس بين هذه المصطلحات كبير اختلاف.

وهناك من حاول ترجمتها فجعلها: التداولية، المقامية، الوظيفية ،السياقية،الذرائعية، النفعية، وبين هذه التسميات اختلاف كبير يجعلها لاتكون مرادفا للمصطلح الأجنبي:"Pragmatique ".

ويعتبر مصطلح "التداولية" أكثر استعمالا من قبل الباحثين وهو مصطلح وضعه الباحث المغربي " **طه عبد الرحمن** " يقول:"وقد وقع اختيارنا منذ 1970 معلى مصطلح "التداوليات" مقابلا للمصطلح الغربي"براغماتيقا" لأنه يوفي المطلوب حقه، باعتبار دلالته على معنيي "الاستعمال"و"التفاعل" معا،ولقي منذ ذلك الحين قبولا من لدن الدارسين الذين أخذوا يدرجونه في أبحاثهم".[1]

كما ننوه أن الدكتور" **قصي العتابي** " قد فضل في مقدمة ترجمته لكتاب"التداولية لجورج يول"–"التداولية" كترجمة لمصطلح" Pragmatics" وقد علل ذلك بقوله:"وذلك لأن التداولية في رأيي هي المكافئ الأنسب، خصوصا إذا أخذنا بعين الاعتبار أن الـ:"Pragmatics"هي بالأساس دراسة اللغة من منظور "تداولها"بين مستعمليها".[2]

[1]– طه عبد الرحمن: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، الرباط– المغرب، ط 2، 2000م، ص 28.

[2]– جورج يــول: التداولية Pragmatics ، ترجمة: قصي العتابي، الدار العربية للعلوم، بيروت–لبنان، دار الأمان، الرباط–المغرب ،ط 1، 1431هـ،2010 م، ص 15.

وقد آثر"**الجيلالي دلاش**" استعمال لفظ التداولية. الذي وضعه "**طه عبدالرحمن**" وأقره "**أحمد المتوكل**". ومدحه بالخفة و السلاسة.[1]

واستطاع عدد من الباحثين أن يقدموا تعريفات شتى للتداولية بعد أن هيمن هذا المصطلح على دراساتهم في هذا المجال كمقابل للمصطلح الأجنبي"Pragmatique"، وكان من المعرفين لها الأستاذ" **مسعود صحراوي**" الذي جعلها علما يدرس مختلف الظواهر اللغوية في مجال الاستعمال بقوله:"هي إيجاد القوانين الكلية للاستعمال اللغوي، والتعرف على القدرات الإنسانية للتواصل اللغوي، وتصير التداولية من ثمَّ، جديرة بأن تعرَّف بأنها:"علم استعمال اللغة" ". [2] فقد جعل التداولية علما يدرس كل الجوانب المساعدة على التواصل اللغوي، ويردف قائلا:"وقد نقول في تعريفها: بأنها نسَقٌ معرفي استدلالي عام يعالج الملفوظات ضمن سياقاتها التلفظية والخطابات ضمن أحوالها التخاطبية". [3] فهي بذلك تتعدى حدود الشكل اللغوي أو الأنساق المجردة إلى كونها تدرس اللغة بوصفها علما تخاطبيا تواصليا يهتم بمقصدية الخطاب وأبعاده الاستعمالية للغة.

وعرّفها "**الجيلالي دلاش**" بكونها:"تخصص لساني يدرس كيفية استخدام الناس للأدلة اللغوية في صلب أحاديثهم وخطاباتهم كما يعني من جهة أخرى بكيفية تأويلهم لتلك الخطابات و الأحاديث"، وبإجمال فالتداولية هي:"لسانيات الحوار أو الملكة التبليغية ...".[4]فهي إذا تعنى بجميع شروط الخطاب وبكيفية تداول اللغة بين المتكلم و

---

[1]– الجيلالي دلاش: مدخل إلى اللسانيات التداولية ، ترجمة: محمديحياتن، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون – الجزائر، دط، دت، ص 01.

[2]– مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب،–دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، دار التنوير، حسين داي–الجزائر، ط 1، 1429 هـ،2008 م، ص 25.

[3]–المرجع نفسه ص 25.

[4]– الجيلالي دلاش: مدخل إلى اللسانيات التداولية ص 01.

السامع وكذا الظروف والسياقات المحيطة بهم وصولا إلى المعنى المقصود وضمانا للتواصل.

أما"**صلاح فضل**" فيدرج التداولية ضمن مجموعة العلوم اللغوية باعتبارها علما يهتم باللغة أثناء التواصل يقول:"التداولية هي الفرع العلمي من مجموعة العلوم اللغوية الذي يختص بتحليل عمليات الكلام بصفة خاصة، ووظائف الأقوال اللغوية وخصائصها خلال إجراءات التواصل بشكل عام". [1]وذلك من أجل إنجاح العملية التواصلية، فـــ"صلاح فضل" يعتبر التداولية علما يهتم بكافة الشروط اللازمة لكي تكون الأقوال اللغوية مقبولة و ناجحة و ملائمة في الموقف التواصلي الذي يتحدث فيه المتكلم.

من هنا كان أوجز تعريف للتداولية وأقربه إلى القبول هو: دراسة اللغة في الاستعمال، أو في التواصل، لأنه يشير إلى أن المعنى ليس شيئا متأصلا في الكلمات و حدها، ولا يرتبط بالمتخاطبين فقط بل يتمثل في تداول اللغة بين المتكلم والسامع في سياق محدد وصولا إلى المعنى الكامن في كلام ما.[2]

وقد ساهم عدد من الباحثين في بناء التداولية وتطويرها وسنحاول في ما يأتي توضيح ذلك.

3 - نشأة التداولية وتطورها:

انبثقت التداولية من التفكير الفلسفي في اللغة، وقد فكّر القدامى في الصلات القائمة بين اللغة و المنطق من جهة، وآثار الخطاب في السامع من جهة أخرى، فاللسانيات

---

[1]– صلاح فضل: بلاغة الخطاب وعلم النص، عالم المعرفة،أغسطس،1992 م، ص 20.
[2]– محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 14.

التداولية اسم جديد لطريقة قديمة في التفكير بدأت على يد" **سقراط**" ثم تبعه"**أرسطو**" الذي ميّز بين"الخطاب الجدلي" الذي يتوجه إلى إنسان مجرّد، يختزل في وضعية ذات تشترك مع المتكلم في سننه اللساني، وبين"القول الخطبي" " Discours rhétorique" الذي يتوجه إلى إنسان واقعي يتمتع بملكة الحكم و ذي انفعالات و عادات ثقافية، كما نادى إلى منهج"جدلي"يضع مبادئ فكر حواري، وهو ما نجده في التداولية الحديثة.

ومن بين الفلاسفة الذين أسهموا في هذا التأمل الفلسفي نجد"**كانط**" الذي استند إلى ما جاء به"**أرسطو**"، وبيّن أن تحليل صلات المتكلم باللغة يجب أن تساهم في تحليل ما يقوله المتكلم، وقد استعمل لفظ"براغماطيش" (Pragmatisch)، وهو ليس بعيدا عن استعمالات لفظ"التداولية" الذي نجده عند التداوليين، لكن اللسانيات التداولية لم تظهر إلى الوجود إلا على يد"باركلي"، فقد كشف عنها بطريقةلم يسبقه فيها فيلسوف آخر، وبدأت في العقود الثلاثة الأخيرة دون طبيعة(غير تخصصية) تغذيها جملة من العلوم أهمها: الفلسفة واللسانيات، والأنتروبولوجيا، وعلم النفس، وعلم الاجتماع..[1]

إلا أن أصولها تمتد إلى "**بيرس**" وهو أحد أبرز المؤسسين المباشرين للسانيات التداولية الذي استقى تسمية مصطلح"البراغماتية" من" **كانط**" حيث ميّز بين لفظبراغماتيولفظ عملي، وهذا الأخير ينطبق على القوانين الأخلاقية، والسابق على قواعد الفنوالتاكتيك التي تعتمد على التجربة، كما جعلها وثيقة الصلة بالمنطق، فقد ظهرت عام(1978م) حيث كتب مقاله المشهور:"كيف نجعل أفكارنا واضحة؟ ".

---

[1]– ينظر: فيليب بلانشيه: التداولية من أوستين إلى غوفمان، ص 20–27 ونعمان بوقرة: المدارس اللسانية المعاصرة، مكتبة الآداب، القاهرة– مصر، د ط، د ت، ص 167. وصلاح فضل: بلاغة الخطاب وعلم النص ، ص 25.

أما البراغماتية بالنسبة " **لبيرس**" فهي منهج في التفكير، لا نظرية فلسفية؛منهج لتحديد معاني الألفاظ والمفاهيم، أو نظرية في معنى الإشارات لجأ إليها لمعرفة الواقع، وربط بينها وبين إثبات واقعية القوانين، وبينها وبين نظريته النقدية في الإدراك السليم الفطري، وبينها وبين نظريته في الاتصال، فمن خلاله فُهمت اللغة في إطارها التواصلي، وأصبح المعنى وظيفة استعمال.واعتبر" **بيرس**" أن البراغماتية قاعدة منطقية تعنى بتحديد معاني الألفاظ و الأفكار والمفاهيم، كما اهتم بنظرية الإشارات التي كان لها أثر بالغ في التحول من الفهم الإجرائي للقاعدة البراغماتية إلى الفهم المنطقي الخالص. واشتغل باكتشاف طريقة يتم بموجبها الاتصال بين الناس، وهذا لا يتم إلا من خلال الإشارات.

وقد أعطى"**بيرس**" تمييزين مهمين في تحليل اللغة عامة والتحليل الدلالي خاصة، وهو تمييز بين تعبير يعد كنمط وتقابلات لهذا التعبير، وتمييز بين العلامة-الإشارة،والعلامة-الأيقونة.[1]

فالتداولية في نظر"**بيرس**"ما هي إلا قاعدة منطقية تبحث في المعنى المنطقي للغة في إطارها التواصلي.

وقد جاءت نقطة انطلاق التداولية على يد" **موريس**"1938م،الذي صنّف "علم السيميائيات " Semiotics" إلى ثلاثة فروع: (علم التراكيب Syntax،وعلم الدلالة.Semiotics،وعلم التداوليةPragmatics) معتبرا أن القواعد التداولية تقدم شروطا تستخدم في إطارها تعبيرات، من حيث إن تلك الشروط لا يمكن أن تصاغ بمفاهيم القواعد النحوية والدلالية.[2]

---

[1]- ينظر: نعمان بوقرة: المدارس اللسانية المعاصرة، ص 171-177. و فرانسوازأرمينكو: المقاربة التداوليةص 25.

[2]-زتسيسلاف و أوزياك: مدخل إلى علم النص، مشكلات بناء النص، ص 86.

ويرى"**موريس**"أن التداولية تعالج مظاهر حياتية، وهي مجموع المظاهر السيكولوجية والبيولوجية، التي ترتبط بعمل العلامات، كما ميّز بين التداولية المحضة، والتداولية الوصفية، الأولى تحيل على إنجاز اللغة أو الكلام، والثانية على البعد التداولي، [1]وقد حاول"**موريس**"توحيد العلوم الفيزيائية والإنسانية تحت إطار نظرية عامة للعلامات، وهو بذلك يؤسس إلى السيميائية إلى جانب"بيرس".[2]

وهكذا نرى أن تداولية"**موريس**" لا تفترق في نظره عن السيميائية باعتبارها فرعا من فروعها يهتم بدراسة العلاقات بين العلامات ومستخدميها، والتداولية في نظره تقتصر على دراسة ضمائر التكلم و الخطاب، وظرفي المكان،والزمان، والتعابير التي تستقي دلالتها من السياق الذي يجري فيه التواصل، ومع هذا ظلت التداولية لا تغطي أي بحث فعلي [3]. ويعد الفيلسوف الألماني" **غوتلوبفريجة**1848-1925"واضع حجر الأساس للتداولية،فهو أحد آباء المنطق الحديث، وأحد آباء تحليل للغة، لقد طور نظرية تنسب إلى كل عبارة، وإلى كل صيغة أو جملة شيئين اثنين: المعنى و الإحالة أو الدلالة، وقد اعتمد مبدأ الاستبدال فاستبدال مكون أساسي لتعبير ما بآخر له نفس الإحالة يغير معناه لكن الإحالة تظل كما هي، [4] كما ميّز"**فريجة**" بين اسم العلم، والاسم المحمول، وهما عماد القضية الحملية أثناء إجرائه لبعض التحليلات اللغوية على القضايا والعبارات اللغوية، وبين أن الوظيفة الأساسية لاسم العلم هي إشارته على شيء فردي معين، في حين أنالوظيفة الأساسية للمحمول هي دلالته على تصور، أي على مجموع الخصائص التي تسند

---

[1]-فرانسوازأرمينكو: المقاربة التداولية، ص 41.

[2]-المرجع نفسه، ص 34

[3]- آن روبول و جاك موشلار: التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ص 29.

[4]- ينظر: بيتركونزمان و آخرون: أطلس الفلسفة، ترجمة: جورج كتورة، المكتبة الشرقية، ط 2، 2007 م وفيليب بلانشيه: التداولية من أوستين إلى غوفمان ص 30.

إلى اسم العلم أو بعضها، إضافة إلى هذا نجده قد ميز بين المعنى والمرجع أيضا[1]، وبهذا يكون قد أدخل تمييزا أساسيا على الدلالة، فالمرجع هو الموضوع ذاته، والذي نتكلم عنه بواسطة تعبير لساني، أما المعنى فليس شيئا آخر غير صيغة إعطاء مرجع لتعابير متميزة ترتبط بمعاني متميزة، مع أن المرجع يمكن أن يكون واحدا.[2]

وقد أعطى"**فريجة**" تمييزا واضحا بين اللغة العلمية، وبين اللغة العادية، هذه الأخيرة التي تهتم في الدرجة الأولى بنجاح التواصل، وتحتاج إلى الإبهام لإنجاز وظيفتها، فهي غير مبهمة وغير واضحة، ويجب أن تكون متعددة المعاني كي تتمتع بثراء الممكنات التي تهيء لها تأدية وظائفها التواصلية بالشكل الملائم [3]. بينما الأولى- اللغة العلمية- لا يهمها ما يساعد على تحديد الحقيقة، وتكون محافظة على المعنى وضرورية في البرهنة الحسابية.

وقد سار على درب" **فريجة**" الفيلسوف النمساوي " **لودفيغفيتغنشتاين**" Wittgenstein"(1889-1951) فقد طور رؤية منطوقية مستندا في ذلك إلى أسس رياضية، ونشر سنة: 1921 "**رسالة في المنطق والفلسفة** "أكّد فيها فكرة مفادها أن الأقوال المنطقية هي من تحصيل الحاصل، فهي فارغة من المعنى لأنها لا تحيل على الواقع بل تشكل إطارا صوريا ما قبليا للمعرفة العلمية[4] ثم ما فتئ أن انتقد مبادئ"الوضعانية المنطقية" و أسس اتجاها فلسفيا جديدا سماه:"فلسفة اللغة العادية"، وقوامها الحديث عن طبيعة اللغة، وطبيعة المعنى في كلام الإنسان العادي،

---

(1)- مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب ص 27-28-29.

(2)-فرانسوازأرمينكو: المقاربة التداولية ص 29

(3)- ينظر: المرجع نفسه ص 28، وفيليب بلانشيه: التداولية من أوستين إلى غوفمان ص 30.

(4)- ينظر: فيليب بلانشيه: التداولية من أوستين إلى غوفمان ص 30.

معتبرا أن المعنى ليس ثابتا ولا محددا، ودعا إلى تفادي البحث في المعنى المنطقي الصارم.[1] كما شدد "**فيتغنشتاين** " على الاستعمال، متفقا في ذلك مع " **فريجة**"، ولا يتعلق الأمر فقط باستعمال كلمة في الجملة، بل باستعمال الجمل في المواقف المحسوسة؛ أي مواقف الفعل، وهو بذلك عبر عن وجهة تداولية [2]،واهتم بدراسة العلاقة بين اللغة والفكر- مدحضا بذلك النظرة الثنائية التي شاعت كثيرا- فهما غير منفصلين، بل يبني أحدهما الآخر، ولهما غاية واحدة هي الغاية التواصلية، وبيّن بأن الهدف الأساسي للغة هو ممارسة لتأثير فعلي للواحد على الآخر، وليس الفهم والتمثيل فقط، وقد فسّر اللغة على ضوء لعبة اللغة، فالكلام هو جزء من النشاط(أوالفاعلية)، أو أنه شكل من أشكال الحياة[3]،وقد أصبح التلاعب بالكلام فيما بعد أحد دعائم ظهور التداولية؛ ذلك أنه مرتبط بالمعنى الفعلي الذي منحه للملفوظات، فهو قائم على العملية التأويلية من خلال الأداء الفعليللغة[4].

وقد كان ما ذكره" **فيتغنشتاين**"بالغ الأثر في" **أوستين**"، فتصدى للرد على فلاسفة الوضعية المنطقية في محاضراته التي ألقاها في جامعة" **أوكسفورد**"ما بين سنتي(1952-1954)، وفي محاضرات دعي لإلقائها في " **هارفارد**" سنة 1955[5] وكانت غاية هذه الأخيرة هو وضع أحد أسس الفلسفة التحليلية الأنجلوسكسونية في تلك الحقبة موضع سؤال، وهو أساس مفاده أن اللغة تهدف خاصة إلى وصف الواقع، فكل الجمل عدا(الاستفهامية، والأمرية، والتعجبية) يمكن الحكم عليها بأنها صادقة أو كاذبة، فهي أفعال تصف وقائع العالم الخارجي، أما الجمل

---

[1]-مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب ص 29.

[2]-فرانسوازأرمينكو: المقاربة التداولية ص 31-32.

[3]- ينظر: خليفة بوجادي: في اللسانيات التداولية ، ص 51، وفيليب بلانشيه: التداولية من أوستين إلى غوفمان ص 31. وبيتر كونزمان وآخرون: أطلس الفلسفة ص 217.

[4]- خليفة بوجادي: في اللسانيات التداولية ، ص51-52.

[5]-محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 42.

الإنشائية(الأدائية) فيتم الحكم عليها بمعيار التوفيق والاخفاق لا الصدق و الكذب، ويدخل فيها: التسمية، والوصية، والاعتذار، والرهان، والنصح، والوعد...[1]

وانطلاقا من مفهوم الإنشاء، دقق " **أوستين**" التصور الذي يكون بمقتضاه القول عملا، ووقف على ثلاثة أعمال لغوية متمايزة:

أولها:"العمل القولي" أو"العبارة": وهو مجرد إصدار إشارات صوتية تنتظم في تركيب نحوي صحيح ينتج عنه معنى محدد، وهو المعنى الأصلي.

وثانيها:"العمل اللاقولي"أو"اللاعبارة":الذي يقوم على إتمام عمل آخر عبر القول، وكيف يمكن أن تؤول العبارة في سياق التلفظ بها.

وثالثها: عمل"التأثير بالقول"أو"أثر العبارة": ويتمثل في إحداث تأثيرات ونتائج في المخاطبين.[2]

وقد ركز"**أوستين**" اهتمامه على العمل"اللاقولي"واعتبره مظهرا أساسيا في حين أنه لم يعط بالغ الأهمية"للفعل القولي" الذي لا ينعقد الكلام إلا به، و"الفعل

التأثيري"الذي لا يلازم الأفعال جميعا فمنها ما لا تأثير له في السامع[3].

وقد اقترح "**أوستين**" خمسة أقسام للأعمال اللاقولية، وهي:

1 الحكميات: تتمثل في الحُكم نحو: التبرئة، الإدانة، الفهم، إصدار أمر، الإحصاء التوقع، التقويم، التصنيف، التشخيص، الوصف، التحليل....

---

[1]– ينظر: آن روبول و جاك موشلار: التداوليةاليوم علم جديد في التواصل ص 31.ومحمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 43-44.

[2]– فيليب بلانشيه: التداولية من أوستين إلى غوفمان ص 59.

[3]–محمود أحمد نحلة:آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 46.

2 التنفيذيات: وتقضي بمتابعة أعمال مثل: الطرد، العزل، التسمية، الاتهام التوصية،الاستقالة، التوسل،الفتح، أو الغلق...، وهي أعمال تنفيذ أحكام، ولكنها ليست حكميات.

3 الوعديات: وهي تلزم المتكلم بالقيام بتصرف بطريقة ما مثل: الوعد، الموافقة والتعاقد، والعزم، والنية، و القسم، والإذن، والتفضيل.

4 السلوكيات: وهي أعمال تتفاعل مع أفعال الغير نحو: الاعتذار، والشكر والتهنئة، والرأفة، والنقد، والتصفيق، والترحيب، والكره، والتحريض.

5 -العَرضيات: وهي أعمال تختص بالعرض مثل: التأكيد والنفي والوصف والاصلاح، والذكر، والمحاجة، والقول، والتأويل، والشهادة، والنقل والتوضيح، والتفسير، والتدليل، والاحالة...[1]

وتعد هذه الأفكار والملاحظات التي قدّمها " **أوستين**" بداية فعالة لنظرية الأفعال الكلامية، وهي نظرية تداولية لسانية قام على تطويرها فيما بعد فلاسفة اللغة، وخاصة تلميذه" **جون سيرل** ""J-Searl"الذي وضح فكرة أستاذه" **أوستين**" وطور نظرية الأفعال الكلامية من خلال اهتمامه بالقوى الانجازية المتضمنة في القول.[2]

فالتداولية إذا مرّت خلال نشأتها بالعديد من المراحل، وعلى يد جملة من فلاسفة اللغة الذين أرسوا مبادئها، وعملوا على تطويرها لتصبح منهجا يعتد به في الدرس اللغوي. ما جعلها تحظى بالعديد من المميزات.

-مميزات التداولية:

وتتميز التداولية عن غيرها من اتجاهات البحث اللغوي بما يأتي:

---

[1]- فيليب بلانشيه: التداولية من أوستين إلى غوفمان ص62.

[2]-محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 48.

1 التداولية تقوم على دراسة الاستعمال اللغوي، أو هي لسانيات الاستعمال اللغوي وموضوع البحث فيها هو توظيف المعنى اللغوي في الاستعمال الفعلي.

2 التداولية لا تمتلك وحدات تحليل خاصة بها، ولا موضوعات مترابطة.

3 التداولية تدرس اللغة من وجهة وظيفية عامة(معرفية واجتماعية وثقافية).

4 تعد التداولية نقطة التقاء مجالات العلوم ذات الصلة باللغة بوصفها وصلة بينها وبين لسانيات الثروة اللغوية.[1]

5 التداولية ينهض بها تداوليون مختلفون، يصدرون عن اختصاصات مختلفة ويشتغلون على ظواهر متعددة.[2]

6-لاتنتمي التداولية إلى أي مستوى من مستويات الدرس اللغوي صوتيا كان أم صرفيا، أم نحويا، أم دلاليا، وهي ليست مستوى يضاف إلى هذه المستويات والأخطاء التداولية لا علاقة لها بالخروج على القواعد الفونولوجية أو النحوية أو التداولية.

7-لا تقتصر التداولية على دراسة جانب محدد من جوانب اللغة، بل من الممكن أن تستوعبها جميعا، وليس لها أنماط تجريدية ولا وحدات تحليل.

8-لا تنطوي التداولية تحت علم من العلوم التي لها علاقة باللغة، بالرغم من أنها تتداخل معها في بعض جوانب الدرس [3]. ونظرا لما تتميز به التداولية من غنى سواء من ناحية تعدد مشاربها أو من جهة دراستها للعديد من جوانب اللغة وعدم

---

[1]-المرجعالسابق ص 14.

[2]- نادية رمضان النجار: الاتجاه التداولي والوظيفي في الدرس اللغوي، مؤسسة حورس الدولية، الاسكندرية-مصر، ط 1، 1434 هـ،2013 م، ص 14.

[3] - محمد مدور:الأفعال الكلامية في القرآن الكريم(سورة البقرة)- دراسة تداولية، إشراف: جودي مرداسي، كلية الآداب واللغات، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2013-2014 م، ص 21.

اقتصارها على جانب معين فقد حاول البعض تقسيمها إلى درجات لربط أجزائها والتوحيد بين عناصرها.

-درجات التداولية:

أسهم"**هانسون**Hanson"في تطوير التداولية، وذلك من خلال توحيد أجزائها والربط بينها، فميز بين ثلاث درجات، والعلاقة بين كل درجة تعتمد على السياق ومدى اغتنائه أو تعقده:

1 تداولية الدرجة الأولى: تتمثل في دراسة الرموز الإشارية. أي التعابير المبهمة ضمن ظروف استعمالها، ووفقا لملفوظها في السياق الذي يحيل إلى المتكلمين، والمكان، والزمان.

2 تداولية الدرجة الثانية: تتضمن دراسة الطريقة المعبر بها عن القضايا في ارتباطها بالجملة التي يتلفظ بها المتكلمون، وسياقها يكون موسع عن سياق الدرجة الأولى، فهو لا يهتم بمظاهر المكان والزمان بل يمتد إلى نفسية المتكلمين، وحدهم.

3 تداولية الدرجة الثالثة: تتمثل في نظرية أفعال اللغة التي أرسى دعائمها"أوستين"، وطورها"**سيرل**"، ولا تتحدد أفعال الكلام إلا من خلال السياق، فهو الذي يبين فيما إذا تم التلفظ بأمر، أو تنبيه أو إعطاء...[1]

-مهام التداولية:

تتلخص مهام التداولية في كونها تدرس اللغة أثناء استعمالها في الطبقات المقامية المختلفة، فهي لا تدرس البنية اللغوية ذاتها بل باعتبارها"كلاما محدد"صادر

[1]-فرانسواز أرمينكو: المقاربة التداولية ص 52-68.

من"متكلم محدد"، وموجه إلى"مخاطَب محدد"بـــ "لفظ محدد" في"مقام تواصلي محدد" لتحقيق "غرض تواصلي محدد"، كما أنها تعمل على:

-شرح كيفية جريان العمليات الاستدلالية في معالجة الملفوظات.

-بيان أسباب أفضلية التواصل غير المباشر وغير الحرفي على التواصل الحرفي المباشر

-شرح أسباب فشل المعالجة اللسانية البنوية الصرف في معالجة الملفوظات.[1]

-دراسة شروط نجاح العبارات،وصياغة شروط ملاءمة الفعل الكلامي في إنجازالعبارة حتى تصبح ناجحة،ومدى ملاءمة كل ذلك لبنية الخطاب ،يقول "**فانديك**": "إن أحد مهام التداولية أن تتيح صياغة شروط إنجاح إنجاز العبارة، وبين أي جهة يمكن بها أن يكون مثل هذا الإنجاز عنصرا في اتجاه مجرى الفعل المتداخل الإنجاز، الذي يصبح تتضمن اتجاهات مجاري فعل الكلام المتداخل الانجاز الذي ينبغي أن يستوفي في إنجاز العبارة حتى تصبح ناجحة، والمهمة الثالثة، أنّه لما كانت معطيات التجربة متاحة بأوسع ما تكون، في صورة العبارة فقط، فيجب أن يكون من الواضح في التداولية كيف تترابط شروط نجاح العبارة كفعل إنجازي، وكمبادئ فعل مشترك الإنجاز التّواصلي مع بنية الخطاب وتأويله"[2].

فالتداولية تسهم في معرفة مدى ملاءمة الأفعال المنجزة للعبارة والتي تشكل بنية الخطاب.

---

[1]-مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب ص 37-38.

[2]-فان ديك: النص والسياق – استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، ترجمة: عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق، المغرب،دط،2000 ص256.

الفصل الثاني:

العملية التواصلية واستراتيجيات الإقناع

1- الاستهلال

2 - السياق

3- الحجاج

من الأهداف التي يرمي المرسل إلى تحقيقها من خلال خطابه هي "الإقناع" الذي يحدث تغييرا في الموقف الفكري أو العاطفي، فهو يهدف إلى إبراز رغبة المتكلم في التعبير عن إحساسه أو وجهة نظره.

وسنحاول في هذا الفصل استجلاء العملية التواصلية بين المعري ومراسله، ومعرفة الاستراتيجيات التي اعتمدها في الإقناع و إحداث الأثر لدى مراسله.

1- الاستهلال:

يعد الاستهلال الجزء الأول من الكلام الذي يقدم فيه المتكلم جملة من الألفاظ والعبارات يشير بها إشارة لطيفة الى موضوع الكلام ، وكيفية التدرج فيه [1] فهو من المراحل المهمة في الخطاب شعريًا كان أم نثريًا على اعتبار موقعه منه . فهو كما جاء في قول **"القرطاجني"** الطليعة الدالة على ما بعدها المتنزلة من الخطاب أو القصيدة منزلة الوجه والغرّة تزيد النفس يحسنها ابتهاجا ونشاطا لتلقي ما بعدها إن كان بنسبة من ذلك وربما غطت بحسنها على كثير من التخوّن الواقع بعدها إذا لم يتناصر الحسن فيما وليَها[2].فحقيقة الاستهلال أن يُجعل مطلع الكلام من الرسائل أو الشعر دالا على المعنى المقصود من هذا الكلام والمراد منه ، فإن كان هناء فهناءً، وإن كانت عزاءً فعزاءً، وكذلك يجري الحكم في غير ذلك من المعاني، كما يعتبر أول ما يطرق السمع من الكلام، فإذا كان لائقا بالمعنى الوارد بعده توفرت الدواعي على استماعه[3]، فعل الكاتب تجويد استهلاله والعمل على ضمان حسنه، وأن يحترز في مفتتح أقواله مما يتطير منه، و يُستجفى من الكلام، و المخاطبة، و البكاء، و وصف إقفار الديار و تشتيت الألّاف، و نعي

---

(1) - مجدي وهبة، كامل المهندس: معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، بيروت - لبنان،ط2،1984ص32.

2- أبي الحسن حازم القرطاجني: منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تقديم وتحقيق: محمد الحبيب بن خوجة، الدار العربية للكتاب،تونس،ط3: 2008م ص278.

(3) - ضياء الدين بن الأثير: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، قدمه وعلق عليه: أحمد الحوثي و بدوي طبانة، دار النهضة ،الفجالة-مصر،ج3،دت، د ط ، ص96-98.

الشباب، و ذم الزمان لاسيما في الكتابات التي تتضمن المدائح و التهاني، وإذا جاء الابتداء حسنًا بديعًا، و مليحًا رشيقًا، كان داعية إلى الاستماع إلى ما يجيء بعده من الكلام[1] .

وقد يقع خلط والتباس بين المقدمة والاستهلال نظرا لكونهما يقعان في أول الكلام، وهذا ما حاول **"جاك دريدا"** أن يوضحه حينما فرّق بينهما معتبرا أن: "المقدمة لها علاقة أكثر نظامية (systématique)، وأقل تاريخية وظرفية (historique et circonstanciel) لمنطق الكتاب، فهي وحيدة (unique) تعالج قضايا أساسية وسخية، وهي بهذا تظهر المفهوم العام في تنوعها واختلافيتها الذاتية (autodifférenciation)عكس الاستهلال الذي يظهر تاريخيته (historicité)الأكثر تجريبية، واستجابة للضرورة الظرفية "[2] ، فالاستهلال يشير بذلك إلى الغرض من الخطاب، وما يعرض فيه من موضوعات ،فعادة ما تُفتتح الرسائل بإشارة إلى الغرض الذي كتبت من أجله، فيقدم المتكلم جملة من الألفاظ و العبارات يشير بها إشارة لطيفة إلى موضوع الكلام ، و **"المعري"** لم يكن استهلاله منفصلا عن مضمون الرسالة، إذ نجده يشير في صدر الرسالة إلى الغرض الذي من أجله بعث إلى "أبي فلان" بقوله: "هَنَاءٌ ، يُقْرَنُ بِهِ نُورٌ و سَنَاءٌ، بل تهَانِئ يُرغَم لهُن الشَانِئُ، تَرَادَفُ إلى حَضْرَةِ الأُستاذِ- طَالَ عُمْرُه في السَّعْدِ الطَالِعِ، ما خَلَدَ ركْنَا "مُتَالِعٍ" – بِقُدُومِ الأُستاذِ حَلِيفِ الجَلَالَة: " أَبِي عَلِيٍّ" لاَ فَتِئَ -للزَمَنِ- أَنْفَسَ حُلِيٍّ"[3]. فقد ابتدأ **"المعري"** رسالته بآيات من التهاني أردفها في إثر بعض إلى الأستاذ ، و هكذا

(1) - أبو هلال العسكري: الصناعتين: الكتابة والشعر، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار أحياء الكتب العربية، حلب- سوريا،ط1: 1371هـ- 1952م ض431-437.

(2) -عبد الحق بلعابد: عتبات(ج. جينيت من النص الى المناص)،الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت- لبنان،ط1: 1429هـ-2008م ص113.

(3) - أبو العلاء المعري: رسالة الهناء ص71-72.

يعكس ما أراده فقد نبه المعري من خلال ذلك الى أن غرضه من هذه الرسالة إنما تهنئة مراسله بمناسبة قدوم ضيفه "أبي علي".

ولم تشتمل رسالة **"المعري"** على البسملة و الحمدلة و التحية كما من عادة الكتاب في بدء رسائلهم بل تطرق مباشرة إلى غرض الرسالة دونما تمهيد أو تقديم.

و قد جاء الاستهلال مناسبا لمقصد المتكلم، فقد لمّح **"المعري"** ببراعة إلى غرض الرسالة، و هو ما يسميه علماء البلاغة "براعة الاستهلال" و قد أشار **"عبد الله بن المعتز"** في كتابه **"البديع"** إلى ذلك بمصطلح: "حسن الابتداءات"[1] ، كما جاء في معجم "البلاغة العربية" لـ **"بدوي طبانة"**: "فرع المتأخرون من حسن الابتداء (براعة الاستهلال) في النظم و النشر، و فيها زيادة على حسن الابتداء، فإنهم شرطوا في براعة الاستهلال أن يكون مطلع القصيدة دالا على ما بُنيت عليه مشعرا بغرض الناظم من غير تصريح، بل إشارة تعذب حلاوتها في الذوق السليم، و يستدل بها على قصده من عتب أو عذر أو تنصل أو تهنئة"[2]، فقيمة و براعة الاستهلال تتجلى في مدى قدرة الكاتب على الإشارة اللطيفة و التلميح إلى موضوع الكلام قصد جذب انتباه المتلقي، و لا يخلو الإبداع و البراعة في الاستهلال "من أن يكون راجعا إلى ما يقع في الألفاظ من حسن مادّة و استواء نسج و لطف انتقال و تشاكل اقتران، و إيجاز عبارة ما جرى مجرى ذلك مما يستحسن في الألفاظ، أو إلى ما يرجع إلى المعاني من حسن محاكاة و نفاسة مفهوم و تطبيق مفصل بالنسبة إلى الغرض و ما جرى مجرى ذلك مما يستحسن في المعاني، أو إلى ما يرجع إلى النظم من أحكام بنية و إبداع صيغة و وضع و ما ناسب ذلك مما يستحسن في النظم، أو إلى ما يرجع إلى الأسلوب

---

[1] - عبد الله بن المعتز: البديع، تعليق: إغناطيوس كراتشقوفسكي، دار المسيرة، بيروت- لبنان،ط3: 1402هـ-1982م ص75.

[2] -بدوي طبانة: معجم البلاغة العربية، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض- السعودية،مجلد1، 1402هـ- 1982م ص85.

من حسن منزع و لطف منحى و مذهب، و ما جرى مجرى ذلك مما يستحسن في الأساليب"[1]، فلا بد إذا على الكاتب أن يبدع في افتتاحاته، و أن يكون حريصا أشد الحرص على انتقاء ألفاظه و ترتيبها ترتيبا متناسقا و بأسلوب شيّق و جميل يدعو إلى الترقب و انتظار الموضوع بشغف و قد حمّل **"المعري"** هذه الرسالة بعبارات جلية المعنى في الدلالة لإجادته في اختيار الألفاظ التي تخدم موضوع التهنئة، و براعته في اصطباغها بالزينة الأدبية من خلال السجع و الجناس ،بحيث يكون جرسها في الأذن جميلا، و وقعها في نفس المتلقي خفيفا و في هذا "تنبيه و إيقاظ لنفس السامع، و ما يؤثر فيها من انفعال و يثير لها من تشويق " [2] لمعرفة ما سيأتي، فجاء بذلك كلامه مسجوعا ، والسجع هو: " تواطؤ الفاصلتين من النثر على حرف واحد، وهذا معنى قول **"السكاكي"**: "الإسجاع في النثر كالقوافي الشعر"[3].

وقد انعكست ظروف تغير العهد السياسي، واختلال الأوضاع على أسلوب الكتاب، فقد شهد الوضع تغيرا في السلاطين والوزراء والولاة، كما كان عصرا مليئا بالاضطراب والمخاطر والفتن مما جعل الكتاب يعمدون الى الصنعة والتكلف، وهو ما نلحظه عند المعري في هذه الرسالة، فقد اعتمد في فاتحتها على السجع الذي أكثر منه وذلك في قوله: "هناء يقرن به نور وسناء، بل تهانئ يرغم لهن الشانئ"[4]، ونلمح في هذا تناغم الألفاظ (هناء، سناء)، (تهانئ، الشانئ) ، وخفتها مشكّلة بذلك إيقاعا موسيقيا جميلا، وقد جاءت كل فاصلتين على نفس الوزن وحرف الروي .

---

[1]-أبي الحسن حازم القرطاجني: منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تقديم وتحقيق: محمد الحبيب بن خوجة، الدار العربية للكتاب، تونس، ط3: 2008 ص278-279.

[2]- المرجع نفسه ص279.

[3] -الخطيب القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة: المعاني والبيان والبديع، وضع حواشيه: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان،ط1: 1424هـ-2003م ص296.

[4]-أبو العلاء المعري: رسالة الهناء ص71.

وفي قوله: "طَالَ عُمرُه في السَعدِ الطَالِع، ما خَلَدَ رُكْنَا مُتَالِعٍ بقُدُومِ الأستاذِ حَلِيفِ الجَلاَلَةِ "أَبِي عَلِيٍّ "، لاَ فَتِئَ للزَّمَنِ أنفَسَ حُلِيٍّ. فهو بهما يُهَنَأُ، خَضَبَ لَوْنَهُ اليَرَنَأُ.(*)" (1)

فقد جاءت العبارات في هذا القول من الرسالة فصيحة واضحة ذات دلالات قوية تترك أثرا حسنا في نفس المتلقي، وجاء السجع بين (الطالع، متالع) (يهنأ، اليرنأ)، والذي تساوت فيه الفواصل في الطول، ولم تأت أحداها أقصر من الأخرى لأنه "لا يحسن أن تولى قرينةٌ قرينةً أقصر منها كثيرا، لأن السجع إذا استوفى أمده من الأولى لطولها، ثم جاءت الثانية اقصر منها كثيرا، يكون كالشيء المبتور، ويبقى السامع كمن يريد الانتهاء إلى غاية فيعثر دونها، والذوق يشهد بذلك ويقضي بصحته."(2)، وإلى جانب توافقها في الفواصل أو القرينة نجد أنها تنوعت في التنكير والتعريف وفي ذلك الأفعال والأسماء، وفي حرف الروي أيضا الذي تنوع بدوره بين حرف العين، والياء، والهمزة ، وهذا التنوع أدى إلى حدوث إيقاع موسيقي عذب مما أضفى على كلام المعري رونقا وجمالا، وسلاسة في التعبير، وحسنا في الأسلوب .

وقد لازم المعري في مستهل هذه الرسالة سجعه بالجناس الذي يعد محسنا بديعيا ومعناه "أن تجيء الكلمة تجانس أخرى في بيت شعر وكلام، ومجانستها لها أن تشبهها في تأليف حروفها "(3).فيقصد به إذا اتفاق اللفظتين كتابة ونطقا واختلافهما معنى، ويذكر **"عبد القاهر جرجاني "** عن شروط حسن التجنيس بقوله: "أما التجنيس فانك لا تستحسن تجانس اللفظتين إلا إذا كان موقع معنييهما

(*)-اليرنأ: الحناء، وتخضيب لونه بها، اصطباغه بلونها.
(1)- المصدر نفسه ص71-72.
(2) -الخطيب القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة ص297.
(3)- عبد الله بن المعتز: البديع ص25.

من العقل موقعا حميدا ولم يكن مرمى الجامع بينهما بعيدا "[1]، فجمال الجناس ناجم عن العلاقة الموصولة بين الصوت والمعنى، وذلك التقارب الصوتي بين الألفاظ يحدث إيقاعا جميلا في النص مما يجعله أقرب ما يكون إلى الشعر، ومن أمثلة ما ورد في" **رسالة الهناء**" قول "**المعري**": "إذ هو أَحَمُّ أو أَحْمَرُ "[2]. فالجناس يظهر في كلمتي (أحم، أحمر) وهي من حيث النوع : جناس ناقص لأن اللفظتين اختلفتا في العدد وذلك بحرف في آخرهما، وهذا الاختلاف اللفظي بين الكلمتين، الذي عبّر به الشاعر عن اختلاف تفسيره لـ "يرنأ الحسن" فهو في نظره لا يعدو صنفين، ولا يتجاوز لونين أحدهما، أحمُ أسود وهو لون الشباب، وثانيها أحمر قانئ وهو لون الحسن .

ونجد أيضا في استهلال "**المعري**" الجناس في قوله: "هناء يقرن به نور وسناءٌ...بقدوم الأستاذ حليف الجلالة " أبي علي "، "لافتئ- للزمن – أنفس حلي"[3].

فقد جانس بين (هناء ، سناء) ، (علي ، حلي)، ونوعه: جناس ناقص لأن هذه الألفاظ جاءت متقاربة من حيث إيقاعها الموسيقي ، ومخارج حروفها وشكلها ، ولكنها اختلفت في الحرف الأول مما جعل خللا في الجناس فصارت الألفاظ تنتمي الجناس الناقص المضارع لاختلافها في أول الحرف .

ومما جاء منه في "**رسالة الهناء**" كذلك قوله: "فهو بهما يهنأ خضب لونه اليرنأ"[4].ففي كلمتي (يهنأ، يرنأ)جناس ناقص.

---

[1]- عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة، قراءة وتعليق: محمود محمد شاكر: دار المدني، جدة- السعودية،ط1: 1412هـ- 1991 م ص07.

[2]- أبو العلاء المعري: رسالة الهناء ص72.

[3]- المصدر السابق ص71-72.

[4] -المصدر نفسه ص72.

فهذا المحسن البديعي (الجناس) يُحدث انسجاما لفظيا وتجاوبا لدى المتلقي لأنه يزيد من توضيح المعنى فيجعله متجانسا زيادة على انه من الوسائل الإقناعية التي تأثر في المتلقي عن طريق التماثل الصوتي.

كما استعمل **"المعري"** في مستهل رسالته بعض الصور البيانية التي تضفي على النص نوعا من الرونق والجمال مبدية ما يحسه **"أبو العلاء"** ناقلة لأفكاره وعواطفه إلى مراسله، فالصورة البيانية هي: "إبداع فني يخاطب الروح والإحساس والخيال معًا فما نحصل عليه من التشابه أو سِواه من عالم المجازات الاستعارية يكون له تأثير في إنماء الصورة الجمالية الفنية، فيضيف جديدا يشوبه في خيالنا وروحنا، فالعناصر المكونة للعمل الفني وبحيث تكون اتحادا عضويا، بحيث تتغلغل الفكرة او العاطفة في كل جزء من أجزاء العمل الفني، وبحيث تعكس كل صورة وكل لفظة فيها " [1].

وهي كذلك: "التعبير بما فيه من حيث تحسين وتزيين أو خصوصية أو تأثير، وهذا التحسين أو التزيين قد يسمى إيجازا أو توكيدا أو تقديما أو تأخيرا ، وبالجملة ما نسميه تركيبا كما يسمى في أحيان أخرى مجازا، أو تشبيها أو استعارة أو كناية، و بالجملة ما نسميه نحن بالصورة الفنية"[2]، فالصور البيانية، تدرس من خلال التشبيه و الاستعارة و الكناية، هذه المركبات الدلالية التي جاءت مترجمة لخيال الكاتب و مصورة لأفكاره بما يتناسب و موضوع النص، و الذي يتمثل هنا في التهنئة التي يتوجب على الكاتب أن يعبر فيها بأحسن تعبير، و أن يبحث عن مواطن التأثير في مخاطبه، و قد نما هذا النوع من الرسائل و تطور في العصر العباسي (القرن 4هـ) لما يُصور من عواطف الأفراد و مشاعرهم. و قد أجاد **"المعري"** في تصويره لأحاسيسه في **"رسالة الهناء"**

---

[1]- المصدر السابق ص72.

[2]- جابر عصفور: الصرة الفنية في التراث النقدي والبلاغي، دار المعرفة، القاهرة- مصر، دط ، دتص336.

من خلال الكناية في قوله: "بقدوم الأستاذ حليف الجلالة "أبي علي" لا فتئ للزمن أنفس حلي"[1]، فقد عبر من خلال هذا القول عن مكانة الضيف التي يحتلها في عصره، فعبارة "حليف الجلالة" هي كناية عن صفة العظمة و الجلال التي تميز بها " أبي علي".

و قوله أيضا : "خضب لونه اليرنأ"[2]، كناية عن الحسن و الجمال.

و من الاستعارة و هي كما يقول **"أبو هلال العسكري"**: " نقل العبارة من موضع استعمالها في أصل اللغة الى غيره لغرض، و ذلك الغرض إما أن يكون شرح المعنى و فضل الإبانة عنه، أو تأكيده، والمبالغة فيه أو الإشارة إليه بالقليل من اللفظ، أو تحسين الغرض الذي يبرز فيه"[3]، فالاستعارة هي اللفظ المستعمل في غير موضعه لعلاقة المعنى الواحد بعبارات أخرى بوجود قرينة تربطه بالمعنى الأصلي.

وما جاء منها قول **"المعري"**: "ما خلد ركنا متالع"[4]، حذف المشبه و هو "الأستاذ"، و استعار بدله لفظ المشبه به "ركنا متالع" بادّعاء أن المشبه به هو عين المشبه، و الذي منع من إرادة المعنى الأصلي هو القرينة الدالة على ذلك "خلد" على سبيل الاستعارة التصريحية.

و هذه الصور البيانية لم تعط الاستهلال بعدا جماليا و زخرفا لفظيا فحسب بل زادت المعنى دلالة، و المتلقي تأثيرا، و نلمس في هذا بعدا تداوليا.

و **"المعري"** في استهلاله لـ "رسالة الهناء" قد ضمنها الدعاء لمراسله ومن حل ضيفا عليه و يقول **"ابن الأثير"** في هذا: "ومن الحذاقة في هذا الباب (يعني

---

(1) - أبو العلاء المعري: رسالة الهناء ص72.
(2)- المصدر نفسه ص72.
(3)- المصدر نفسه ض72.
(4)- أبو هلال العسكري: الصناعتين ص268.

الافتتاحات) أن يجعل الدعاء في أول الكتاب من السلطانيات و الإخوانيات وغيرهما متضمنا من المعنى ما بني عليه ذلك الكتاب... فإن ذلك من دقائق هذه الصناعة[1].

و يتبين من خلال هذا القول أنه يحبذ من الكتاب أن يفتتحوا رسائلهم بالأدعية التي لا تخرج في معناها عن غرض الرسائل؛ لأنها تلامس القلوب و تؤثر في متلقيها .

و مما جاء في مفتتح رسالة الهناء قول **"المعري"** داعيا للأستاذ: " ترادف إلى حضرة الأستاذ، طال عمره في السعد الطالع، ما خلد ركنا متالعٍ".

فهو بهذا يدعو بطول العمر للأستاذ، و أن يديمه الله عزيزا قويا قوة جبل " متالعٍ " - و هو جبل ببلاد طيء - و مناعته، و أن يبقى الأستاذ على الدوام حاميا لحِماه و متغلبا على عِداه.

و قوله أيضا: "بقدوم الأستاذ حليف الجلالة "أبي علي" لا فتئ للزمن أنفس حلي"[2]، فهو يدعو "لأبي علي" بأن يبقى أبد الدهر كالحلي النفيس، بدوام عزه و بقائه هَرما من أهرام السلطة. خاصة و أن هذا العصر الذي عايشه **"المعري"** و هو العصر العباسي الثاني قد عرف تغيرا و تبدلا سريعا في الحكام و الأمراء و الولاة، فقد كان شديد الاضطراب، و هذه الظروف قد أثرت في المعري و جعلته يتمنى أن لا تزول النعمة و السلطة و الجاه على **"أبي علي"** و الذي لا نعلم عنه إلا ما ألمح إليه "المعري" بأنه كان مشيرا لدى السلطان **"شبل الدولة"** أو وزيرا لديه.

---

[1]- ضياء الدين بن الأثير: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر،ج3، ص11-112.

[2]- أبو العلاء المعري: رسالة الهناء ص71-72.

و من الدعاء قوله : "خضب لونه اليرنأ، إذ هو أحم أو أحمر"[1]، فالمعري يدعو الأستاذ الذي بعث له بالرسالة بأن يمتلئ جسده صحة وقوة يتورد بهما لونه، وأن يفيض ما يجري في عروقه من دماء العافية، فيبدو وكأنه مخضب بالحناء (اليرنأ)، فيصبح شابا قويا ممتلئا بالصحة ومتصفا بالحسن والجمال. وبهذا يكون المعري قد ختم استهلاله بالدعاء للأستاذ (المرسل إليه).

ونستخلص من خلال كل ما سبق أهمية الاستهلال وموقعه من الرسالة فالكاتب من خلاله يمهد للموضوع في براعة تتجلى من خلال الصور البيانية والمحسنات فيشد بذلك انتباه القارئ ويلفت أنظاره إلى الموضوع، مما يضمن له التواصل الجيد معه. فالاستهلال إذن يمثل أداة تهيئة وتوطئة للموضوع تجعل المرسل يؤثر في متلقي الرسالة ويقنعه بما يريد أن يقوله .

[1]- المصدر نفسه، ص72.

2- السياق:

يعتبر السياق من أهم العناصر وأبرزها في الدرس التداولي، فقد احتل حيزا كبيرا في الدراسات التداولية مما دعا" **ماكس بلاك**" للقول: " بأن التداولية يجب أن تعاد تسميتها، إذ عليها أن تسمى السياقية"[1] فهو يعد مفهوما تداوليا مؤطرا للاستعمال اللغوي بين أفراد المجتمع، ومعطيا الإطار الذي تشتغل فيه العلامات، وبتغيره يمكن أن يتغير القول والمفهوم، ويكون بذلك موافقا للسياق الجديد، فلكل سياق قول، وهذه الأقوال متوقفة على العوامل الخاصة بالمتكلمين ، والعوامل الخارجة عنهم، فالسياق هو: "مجموع شروط إنتاج القول ،وهي الشروط الخارجة عن القول ذاته، والقول هو وليد قصد معين يستمد وجوده من شخصية المتكلم، ومستمعه أو مستمعيه، ويحصل ذلك في الوسط (المكان)، واللحظة(الزمان) اللذين يحصل فيهما"[2].

ويتحدث "**أولمان**" عن مصطلح السياق " context" بقوله أن كلمة "context" قد استعملت حديثا في معان مختلفة منها المعنى التقليدي، أي: النظم اللفظي للكلمة و موقعها من ذلك النظم بأوسع معاني هذه العبارة، والسياق على هذا التفسير ينبغي أن يشمل لا الكلمات والجمل الحقيقة السابقة واللاحقة فحسب، بل القطعة كلها، والكتاب كله، وكل ما يتصل بالكلمة من ظروف وملابسات، والعناصر اللغوية المتعلقة بالمقام الذي تنطق فيه الكلمة لها أهمية بالغة في هذا الشأن[3].

ومن خلال كل هذا يمكن القول إن السياق يعني في دلالته الأولى البنية اللغوية في اتصالها بما قبلها و ما بعدها، ويعني في دلالته الأخرى الظروف والملابسات

[1] -فرانسواز أرمينكو: المقاربة التداولية ص16.
[2]- الجيلالي دلاش: مدخل إلى اللسانيات التداولية ص41.
[3]- ستيفن أولمان: دور الكلمة في اللغة، ترجمة وتعليق: كمال محمد بشير، مكتبة الشباب د ط، د ت، ص57.

التي تحيط بالحدث اللغوي أو غيره، وهو ما يسمى بالسياق غير اللغوي، أو المقامي أو سياق الحال[1]، فهو إذا يطلق على مفهومين هما:

1-السياق اللغوي: يعد حسب المعجم تلك الأجزاء من الخطاب التي تحق بالكلمة في المقطع، وتساعد في الكشف عن معناها، فهو تجسيد لتلك التتابعات اللغوية في شكل الخطاب، من وحدات صوتية وصرفية و معجمية، وما بينهما من ترتيب وعلاقات تركيبية[2]، ويندرج تحت السياق اللغوي عدة سياقات منها:

أ- السياق الصوتي: الذي يهتم بدراسة الصوت داخل سياقه اللغوي، مثل دراسة الفونيم الذي يعتبر المادة الأساس في قيم الدلالة، ومهمته الوظيفية وتأثيره داخل منظومة السياق .

ب- السياق الصرفي: ويهتم بالوحدات الصرفية إذا كانت ضمن سياق تركيبي معين أي تمارس وظيفتها داخل السياق.

ج- السياق النحوي: وهو شبكة من العلاقات القواعدية التي تحكم بناء الوحدات اللغوية داخل النص[3].

د- السياق المعجمي: وهو مجموعة العلاقات الصوتية التي تتضافر من أجل تخصيص الوحدة اللغوية ببيان دلالي معين، وهذه الوحدة تشترك في علاقات أفقية مع وحدات أخرى لإنتاج المعنى السياقي العام للتركيب.

هـ - السياق الأسلوبي: ويظهر في النصوص الشعرية، والنثرية أكثر منه في اللغة العادية، ويمثل الملمح الخاص والبصمة التي تميز كل كاتب أو أديب عن الآخر[1]

---

[1]- فاطمة الشيدي: المعنى خارج النص: أثر السياق في تحديد دلالات الخطاب، دار نينوي ، دمشق – سوريا- د ط ،2011م ص21.

[2]- عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب ص40.

[3]- فاطمة الشيدي: المعنى خارج النص: أثر السياق في تحديد دلالات الخطاب ص 31 -32.

)فالسياق اللغوي يرتبط أكثر بجانب التركيب والنظم، فيجعل العلاقات بين الكلمات في النص هي المرادة بلفظ "السياق اللغوي" وهو على درجة من الأهمية البالغة في صياغة المعنى والكشف عنه، وكذا تحقيق الانسجام والتماسك داخل النص أو الخطاب

2- سياق التلفظ أو سياق الموقف: يجري من خلاله التعامل اللغوي الفعلي الحادث من الأفراد في مجتمعهم، "ومجموع الخبرات الحياتية الواقعية التي يكتسبها الفرد في منظومته الاجتماعية"[2]وهذه المعرفة هي التي تشكل المعنى في النصوص. فالمعنى كما يرى" **فيرث**": "لا ينكشف إلا من خلال تسييق الوحدة اللغوية، أي وضعها في سياقات مختلفة سواء كانت هذه السياقات لغوية أم اجتماعية"[3] فالسياق المقامي يلعب دورا بارزا في تحديد معنى الخطاب، فهو إذن مجموعة الظروف التي تحف حدوث فعل التلفظ بموقف الكلام فهو يدل على الممارسة المتصلة للفعل اللغوي الذي يتجاوز مجرد التلفظ بالخطاب، بدء من لحظة إعمال الذهن للتفكير في إنتاجه بما يضمن تحقيق مناسبته التداولية[4]، وعلى أساس هذا المفهوم تتحدد أهمية السياق، و تعد معرفته والإحاطة بملابساته أمرا في غاية الأهمية في عملية تحليل الخطاب.

يرى **"فرانسواز أرمينكو"** أن السياق في مفهومه المركزي يمتلك طابعا تداوليا، إلا أن الصعوبة فيه تأتي من عدم معرفتنا من أين يبدأ و أين ينتهي، ويمكن أن يقسم السياق إلى أربعة أنماط تتمثل في:

---

[1]- المرجع السابق ص32 -33.

[2]- عمر أبو خرمة: نحو النص نقد النظرية وبناء أخرى، عالم الكتب، اربد الأردن، ط1 :1425ه -2004م ص86.

[3]- أحمد عفيفي: نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة -مصر، ط$_1$: 2001م ص48.

[4]- عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب ص40-41.

- السياق الظرفي: والفعلي والوجودي والإحالي، وهو هوية مخاطبين ومحيطهم الفيزيقي، والمكان والزمان اللذين يتم بهما الغرض .
- السياق التداولي أو المقامي: يتميز بالاعتراف به اجتماعيا كمتضمن لغاية أو غايات وعلى معنى ملازم تتقاسمه الشخصيات المنتمية إلى نفس الثقافة.
- السياق المتداخل الأفعال(التفاعلي): ويقصد به تسلسل أفعال اللغة في مقطع متداخل الخطابات. إذ يتخذ المخاطبون أدوارا تداولية محضة، هي الاقتراح والاعتراض.
- السياق الاقتضائي: ويتكون من كل ما يحدس به المخاطبون من اقتضاءات أي من اعتقادات، وانتظارات، ومقاصد[1].

كما قُسم السياق إلى عدة مستويات أخرى تضمنت السياق النفسي والنصي، والإدراكي أو المعرفي، والاجتماعي والثقافي...، لكن يبقى فهم معنى النص مرتبط بجميع هذه السياقات، فكل هذه الأنواع تساعد على إدراك معاني النص وتحليلها.

أما العناصر الأساسية التي تشكل سياق الخطاب حسب **"بروان ويول"** هي: المتكلم و المخاطَب والرسالة والزمان والمكان ونوع الرسالة، فكلما توفر المتلقي على معلومات عن هذه المكونات تكون أمامه حظوظ قوية لفهم الرسالة وتأويلها، أي وضعها في سياق معين من أجل أن يكون لها معنى[2]، وبهذا فإن السياق يتمثل فيما يمكن أن يسمى الجو الخارجي الذي يلف إنتاج الخطاب، من ظروف وملابسات، ويعد العنصر الشخصي من أهم عناصر السياق، ويمثله طرفا الخطاب، و ما بينهما من علاقة بالإضافة إلى مكان التلفظ

[1]- فرانسواز أرمينكو: المقاربة التداولية ص65-66.

[2]- محمد خطابي: لسانيات النص: مدخل إلى انسجام الخطاب: المركز الثقافي العربي، بيروت - لبنان ط1: 1991م ص297.

وزمانه، وما فيه من شخوص وأشياء، و ما يحيط بها من عوامل حياتية، اجتماعية أو سياسية أو ثقافية...[1] وعلى اعتبار أن التداولية تحاول دائما الإجابة في أي نص خاصة من جانبه السياقي – على أسئلة من قبيل:

- من هو المتكلم في النص؟
- من هو المتلقي؟
- ما هو زمان النص ؟
- ما هو المكان المؤطر للنص؟
- ما هو موضوع النص؟

وسنحاول في قراءتنا لـ " رسالة الهناء" أن نقف على إجابة هذه الأسئلة، وتحديد المؤشرات السياقية التي تساهم وبشكل كبير في إضاءة معاني النص، ورصد معالمه الأولى، والإمساك بكل الأطراف الأخرى المكونة له اعتمادا على السياق.

وأول ما نلمحه أثناء تصفح" **رسالة الهناء**" هو العنوان الذي يعد بوابة يدخل منها المتلقي إلى النص، لذلك آثرنا أن ننطلق في تحليلها لهذه المدونة من عنوانها الذي يعد أيضا من أهم الملامح السياقية.

أ- العنوان: يعتبر البداية الحقيقة لمراحل التأويل، ورأس النص ومفتاحه الأساسي، ونقطة الإرسال الأولى ،ومن ثم فهو يرتبط بباقي النص ويمنحه بذور النمو والتطور، وفي ذلك يقول "**امبرتوإيكو**": "الوحدة الدلالية نص مضمر، والنص توسيع لتلك الوحدة الدلالية"[2]، فهو العلامة اللغوية التي تعلو النص لتسمه وتحدده وتغري القارئ بقراءته، من خلال تراكم علامات الاستفهام

[1]- عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب ص 45.

[2]- شوقي بدر يوسف: علاقة التكامل سيميوطيقا العنوان في روايات نجيب محفوظ، مجلة العرب الأسبوعي 2010م ص 24.

في ذهنه، والتي سببها العنوان، فيضطر للدخول إلى عالم النص بحثا عن إجابات[1]، فالعنوان يساعد المتلقي على فهم النصوص، ويرى **"لوي هويك"** بأنه: "مجموعة العلامات اللسانية من كلمات وجمل، وحتى نصوص، قد تظهر على رأس النص لتدل عليه وتعينه، تشير لمحتواه الكلي، ولتجذب جمهوره المستهدف"[2]. وقد وُسمت مدونة الدراسة بعنوان **"رسالة الهناء"**، كما أنها تضمنت عناوين فرعية وصل عددها إلى ثمانية عشر عنوانا.

وقد تركب العنوان من لفظتين: "رسالة " وهي لفظة تميز جنس هذا النص عن باقي الأجناس الأخرى، و "الهناء" ، والتي تعني في مدلولها المعجمي "البهجة والفرح"، ومن خلال هذا العنوان يكون المعري قد استحضر السياق النفسي، فقد جعل المتلقي يتلهف لمعرفة ما ورد في هذه الرسالة والذي يبعث على الفرح والبهجة.

وقد استعمل **"المعري"** عناوين فرعية وهي عناوين تضمنت الرسالة نذكر منها "تهنئات الأكفاء، فريسة الأسد، تهنئة العصفور، الأصفران، الكوكبان، الربيعان، الفارسان..." وهي عناوين تحدد مسبقا الموضوع وتشير إليه وهي تساعد المتلقي على الانتباه لها وتذكر ما سبقها من أجزاء، مما يجعله قادرا على فهم النص والتعرف على دلالاته وإيحاءاته.

ووظائف العنوان حسب **"جينيت"** تتحدد في ثلاث وظائف تتمثل في، التعيين ، وتحديد المضمون، وإغراء الجمهور، وما من ضرورة حسب ما تقول لأن تجتمع كلها في العنوان على الرغم من أن الوظيفة الأولى تعد ضرورية وواجبة الحضور في أي عنوان، أما الوظيفتين الأخريين فهما اختياريتين[3]وقد تحددت في هذا النص

---

[1]- عبد القادر رحيم: العنوان في النص الإبداعي – أهميته وأنواعه، مجلة كلية الآداب العلوم الانسانية والاجتماعية، العددان الثاني والثالث ،جوان 2008م ص10.

[2] - عبد الحق بلعابد: عتبات : ج جينيت من النص إلى المناص ص67 .

[3]- المرجع السابق ص74 -75.

الذي بين أيدينا الوظيفتين الأولى والثانية(أي التعيين والإغراء) أما الوظيفة الثانية (تحديد المضمون) فنجد أن المعري قد أشار إلى الموضوع فقط ولم يحدده، بل جعل المتلقي يتساءل ويتشوق لمعرفة مضمون النص.

ب- المرسل(المخاطِب): يعتبر المخاطِب من أهم العناصر السياقية في الخطاب فهو "الذات المحورية في إنتاج الخطاب، لأنه هو الذي يتلفظ به، من أجل التعبير عن مقاصد معينة، وبغرض تحقيق هدف فيه، ويجسد ذاته من خلال بناء خطابه، باعتماد استراتيجية خطابية تمتد من مرحلة تحليل السياق ذهنيا والاستعداد له "[1].

فللمخاطِب إذا دور بارز في إنتاج الخطاب، فهو الذي يحدد الدلالات والمقاصد التي يرمي إليها من خلال خطابه، فلا يمكن للغة أن تتجسد وتمارس دورها إلا من خلال المرسل الذي يوظف اللغة في مستوياتها المختلفة بتفعيلها في نسيج خطابه، وبهذا "ينقل المرسل اللغة من المستوى الصوري الى المستوى التداولي ويغدو الخطاب، عندها، مؤشرا على كفاءته، بالقدرة على التكيف مع محيطه؛ لأن الخطاب باعتباره مقول الكاتب- أو أقاويله بتعبير الفلاسفة العرب القدماء هو بناء من الأفكار[...]، فالخطاب من هذه الزاوية إذا كان يعبر عن فكرة صاحبه فهو يعكس أيضا مدى قدرته على البناء"[2]، والذي يقرأ "رسالة الهناء" يدرك أن المرسل هو: **"أبو العلاء المعري"** لأن اسمه مثبت على غلاف الرسالة، و"المعري" علم من أعلام التراث العربي، وهو ظاهرة غير اعتيادية خاصة في أسلوبه الأدبي الذي يستحق القراءة والتمحيص لما يفتح من أبواب عدة

[1]- عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب ص45.
[2]- المرجع نفسه ص46.

للتأويل أمام القارئ الذي يجد نفسه أمام نص ثري في بناءه غني في عباراته دقيق في اختيار مفرداته.

وما نلاحظه من سياق كلام **"المعري"** أنه حدد مسبقا موضوع رسالته التي كانت عبارة عن رسالة تهنئة حاول فيها أن يعبر ويوصل أفكاره وشعوره. فالمعري يشكل باعتباره "المرسل" بؤرة العملية التواصلية، فقد استخدم اللغة استخداما سياقيا انتقى فيه ما يتوافق مع ما يكتبه.

ج- المرسل إليه(المخاطَب): يعتبر المخاطَب ثاني أهم عنصر في العملية التواصلية، فهو يخطى بأهمية لا تقل عن أهمية المرسل (المخاطِب) لأنه يتم انشاء الخطاب من أجله، كما يؤثر على المرسل عند إنتاجه الخطاب فهو دائم الحضور في ذهنه سواء كان هذا الحضور عينيا أم استحضارا ذهنيا وهو "ما يسهم في حركية الخطاب، بل يسهم في قدرة المرسل التنويعيّة، ويمنحه أفقا لممارسة اختيار استراتيجية خطابه"[1] فيصبح بذلك طرفا في عملية بناء النص أو الخطاب.

والمرسل إليه أو المخاطَب في هذه الرسالة- والذي توجه إليه المعري بالخطاب- لم يَرِد ذكر اسمه بل كنّاه "بأبي فلان" أو "الأستاذ" و أدركنا من سياق الرسالة أنه كان مشيرا للسلطان" شبل الدولة" الذي ألفت في عهده رسالة الغفران، وكثيرا ما يغفل "المعري" أسماء معاصريه ومن يراسلهم نظرا لإسرافه في مدحهم، والمغالاة في مجاملتهم والتودد إليهم، ولربما يكون هذا هو الدافع الذي جعله لا يذكر اسم مراسله بل يستعيض عن ذلك بذكر كنيته فقط كما في قوله: "ترادف إلى حضرة الأستاذ"[2] و "مهاجرة الأستاذ أبي فلان"[3]

---

[1]- المرجع السابق ص48.

[2]- أبو العلاء المعري: رسالة الهناء ص71.

[3]- المصدر نفسه ص 94.

، فالمعري وجه خطابه إلى شخص معين ومن فئة معينة، فهو إذا قارئ حقيقي وله وجود فعلي.

د- الموضوع: وهو عبارة عن تهنئه بعث بها "المعري" إلى أحد معاصريه بمناسبة قدوم ضيف له، والذي كان أحد وزراء السلطان "شبل الدولة"، والتهنئة تعد مظهرا من المظاهر الاجتماعية الموغلة في تاريخ الإنسانية لأنها تعبير مباشر وصريح عن عواطف المجتمع البشري التي اقتضت منه التعبير بأحسن ما يسر به صديقه، أو قريبه ... "وكتب التهاني من الكتب التي تظهر فيها مقادير أفهام الكتاب ومنازلهم من الصناعة، ومواقعهم من البلاغة، وهي من ضروب الكتابة الجليلة النفسية، لما في التهنئة البليغة من الإفصاح بقدر النعمة، والإبانة عن موقع الموهبة، وتضاعف السرور بالعطية..."[1]، وقد حمّل المعري الرسالة بعبارات جلية المعنى في الدلالة على حسنه في اختيار الألفاظ التي تخدم موضوع التهنئة، وقد سميت هذه الرسالة بـ **"رسالة الهناء"** لأن المؤلف افتتح الرسالة بالهناء: "هناء يقرن به نور وسناء"[2]، واشتملت على آيات من التهاني متبوعة بالدعاء للمرسل إليه ولضيفة. ثم المضمون الذي قسمه المعري إلى عدة أجزاء كل جزء منها يشتمل على عنوان مناسب له، تمثلت الأجزاء الأولى في تبيانه أن التهنئة لا يجب أن تقع إلا بين الأكفاء وأعطى أمثلة قصصية عن ذلك كما قدم أمثلة لنظرائه ونظراء مراسله، وفي الأجزاء الأخرى قام بمدح الأستاذين، ثم ختم رسالته بقوله: "وقد كنت عزمت على الإمساك حتى أشار بالقول وليهما أبو فلان، وهو ممن يوثق بعقله ودينه، ولم يغطِّ البادي بسَدينه، فإن كنت أسأت الأدب في المكاتبة فهو في الغلط- شريك"[3] فقد اعتذر من مراسله لإساءته الأدب بقيامه مخاطبته

---

(1)- القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ،طبعة مصورة عن طبعة المؤسسة المصرية العامة،للتأليف،1963م(4/9)،نقلا عن: خالد الحلبوني، الرسائل النثرية الشخصية في العصر العباسي، مجلة جامعة دمشق،مجلد25،العدد الأول+الثاني،2009م ص05.

(2)- أبو العلاء المعري: رسالة الهناء ص71.

(3)- المصدر نفسه ص125.

والكتابة إليه، ويخشي أن يخطئ مرة أخرى فينزلق في طريق الخطأ، ويثب من التربيع- إلى التسبيع، ومنه إلى ما يليه، بعدما ارتكب في تحرير هذه الرسالة ثلاث غلطات. فقد عمد المعري إلى استعمال اللغة استعمالا متناسقا يناسب مقتضيات السياق وذلك من خلال المخطط الذي اتبعه في تقسيم أجزاء خطابه، وبناؤه على استراتيجية مناسبة مكنته من إيصال قصده إلى مراسله، وكذا محاولة إقناعه بما ذهب إليه وقد عرّف **"الشهري"** استراتيجيات الخطاب بقوله هي: "عبارة عن المسلك المناسب الذي يتخذه المرسل للتلفظ بخطابه، من أجل تنفيذ إرادته والتعبير عن مقاصده، والتي تؤدي لتحقيق أهدافه من خلال استعمال العلامات اللغوية وغير اللغوية وفقا لما يقتضيه سياق التلفظ بعناصره المتنوعة ويستحسنه المرسل"[1].

هـ-الزمان والمكان: يعتبران من بين أهم العناصر التي يتكون منها السياق ولا يمكن فهم الخطاب أو العملية التواصلية إلا من خلال ربطها بعنصري الزمان والمكان، ويخضع تحديدهما إلى وضعية المخاطِب أثناء خطابه إذ يرتبط بصفة مباشرة بلحظة التلفظ التي تعتبر المرجع، ولهذا "يجب أن نربط الزمن بالفعل ربطا قويا في مرحلة أولى، ونربط، كذلك، بين الزمن والفاعل، لأهمية الكبرى في مرحلة ثانية"[2]، فلا بد إذن على المرسل إليه أن يدرك لحظة التلفظ حتى يتم تأويل الخطاب بشكل سليم.

وزمن الكتابة في هذه الرسالة- حسب ما ذكره المحقق- يعود إلى العصر العباسي وبالتحديد عصر السلطان **"شبل الدولة"** وهو **"أبو كامل نصر بن صالح بن مرداس"** الذي تملك" حلب" من سنة 420 هـ إلى 429هـ، فالزمن محصور إذن بين هذه الأعوام ولا يمكن تحديده بدقة متناهية، أما المكان فهو "سوريا"

[1]- عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب ص 62.
[2]- المرجع نفسه ص83.

أو **"المعرّة"** على اعتبار الفترة الزمنية التي عاشها المعري في هذا المكان، هذا فيما يخص الزمان والمكان الخارجيين، أما على المستوى الفضاء الداخلي للرسالة فإن السياق أوجد لنا نوعا من الغموض في تحديهما، لأن المعري في حالة سرد وتوضيح للأحداث فذكر الزمن الماضي والحاضر والمستقبل، وكذا أماكن عامة لم يتم تحديدها بدقة(*).

(*) - سيتم شرح ذلك بالتفصيل في الفصل الموالي في "الإشاريات" .

3-الحجاج:

فرضت العلمية التواصلية في "رسالة الهناء" لأبي العلاء المعري اللجوء إلى استراتيجيات إقناعية تمثلت في الحجاج الذي تَحدد عنده في إنجاز متواليات من الأقوال بعضها بمثابة الحجج، وبعضها الآخر بمثابة النتائج التي تستنتج منها. ويعد الحجاج سلسلة من الأدلة تفضي إلى نتيجة واحدة، أو هو طريقة عرض الأدلة و تقديمها[1]، وتظهر حجاجية اللغة من خلال استخدام المتكلم لوسائل لغوية قصد التأثير في السامع، فيكون بذلك الخطاب ناجحا فعّالا، وهذا معيار أول لتحقق السمة الحجاجية، غير أنه ليس معيارا كافيا، إذ يجب أن لا تهمل طبيعة السامع المستهدف الذي يحق له الاعتراض، فنجاح الخطاب يكمن في مدى مناسبته للسامع، ومدى قدرة التقنيات الحجاجية المستخدمة على إقناعه[2]، فهو إذا ممارسة ترمي إلى تحقيق أهداف حجاجية فضلا عن الإقناع والتأثير في المتلقي وجعله يتقبل آراء و اتجاهات المتكلم.

وقد أثرى المعري رسالته بالحجج والشواهد التي تكتسب قوتها من مصدرها وتواترها بين الناس لإلزام مراسله على الاقتناع برأيه من دون أن يفرض عليه ذلك أو يكرهه على الاقتناع به، فالمرسل "عندما يطالب غيره بمشاركة اعتقاداته، فإن مطالبته لا تكتسي صيغة الإكراه، ولا تدرج على منهج القمع و إنما تتبع في تحصيل غرضها سبلا استدلالية متنوعة تجر الغير جرا إلى الاقتناع برأي المحاور، وقد تزدوج أساليب الاقتناع بأساليب الإمتاع، فتكون إذ ذاك أقدر على التأثير في اعتقاد المخاطب، وتوجيه سلوكه لما يهبه هذا الإمتاع من قوة

---

[1]- خليفة بوجادي: في اللسانيات التداولية ص 87.

[2]- ينظر: مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب ص66، وطه عبد الرحمان: اللسان والميزان ص226، وصابر الحباشة : التداولية والحجاج ص21.

في استحضار الأشياء ونفوذ في إشهادها للمخاطب كأنه يراها رأي العين"[1]، وقد بنى المعري رسالته وفق منهجية تمثلت في توظيف الحجج الجاهزة أو غير الصناعية والتي تشترك في دعوتها العقل الانسجام مع مبادئه(السببية، وعدم التناقص...)أو مع العالم الخارجي المحيط به بما فيه من قيم ومواضعات اجتماعية و رصيد ثقافي ونصوص مقدسة وتشريعات وقوانين ومصلحة عامة[2]، حيث اعتمد على:

أ-المثل: الذي يستمد شرعية توظيفه في "رسالة الهناء" من خلال امتلاك **"المعري"** لثقافة واسعة تؤهله لاختيار الحجج المناسبة، والمثل هو الإتيان بعامل خارجي أو وضعية خارجية لا علاقة لها بمحتوى النص للتأكيد على ظاهرة موجودة في النص، غرض الإتيان به هو التأثير والإقناع[3]، وهو حجة تقوم على المشابهة بين حالتين في مقدمتها، ويراد استنتاج نهاية إحداهما بالنظر إلى نهاية مماثلتها، والمثل عند أرسطو تاريخي ومصطنع، و ينقسم المصطنع إلى:

أ1- مثل بالتشابه: كالاستشهاد على فساد اختيار القضاة بالقرعة، وتفنيد رأي من اقترح ذلك بفساد اختيار المتصارعين أو ربان السفينة بها.

أ2- مثل خرافي: شخصياته من الحيوانات كقصة استعباد الفرس التي حكاها الشاعر اليوناني اسطيسخورس لأهل صقلية[4].

ولحجج المثل دور في إحداث التفاعل وبالتالي إقناع المرسل إليه بوجهة نظر المرسل، ومما جاء في "رسالة الهناء " استعمال المعري للمثل الخرافي فذكر قصة

---

[1]- طه عبد الرحمان: في أصول الحوار و تحديد علم الكلام ص 38.

[2]- محمد المعري: في بلاغة الخطاب الاقناعي – مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية، الخطابة في القرن الأول نموذجا- أفريقيا الشرق- بيروت – لبنان،2002 ،د ط ص 71.

[3]- ينظر: يمينة ثابتي: الحجاج في رسائل ابن عباد الرندي، الخطاب، دار الأمل، تيزي وزو- الجزائر، العدد الثاني، ماي 2007 ص 307.

[4] - محمد العمري: في بلاغة الخطاب الاقناعي ص 82.

الأسد والفأر في قوله: "كمثل الأسد لما ظفر بفرس لبعض الملوك، لم تسم إلى ركوبه نفس صعلوك، فحمله إلى العريسة، وأخذ الكفاية من الفريسة. واجتمعت إليه أصناف الوحوش مهنئات- خشعا من الهيبة - متجنئات ...قال فِرْنِبٌ(*)، وهو - في المقالة- مُذنب، كان بالأَجِمَّةِ له وِجارٌ، والضَيْغَم(**) له نعم الجَار... " بورِك للملك في العطية السُنيَّة، وما بلغ من الأمنية"، فَنَظَرَ الأسد نظر مُغْضَبٍ، وكأنَّه من الأسَف- على مِحْضَبٍ(***)إلى سِرْحَان حَضَرٍ أو نَمْرٍ، فعَرف أنه ما رَضِي بذلك الأمر، فأوحى- بالعَجَل- إلى هِرٍّ، في البَرِّ، أن يُنْزِل- بالبِرِّ الناطِق- ما سَنَحَ من الشَّرِّ.." (1).

فقد اعتمد **"المعري"** على هذه القصة حجة يدعم بها وجهة نظره التي تقول بأن التهنئة لا تقع إلا بين النظراء والأكفاء فقط، وإذا جاءت من غير نظير فإنها تعد من الأشياء المحظورة التي توجب العقاب، ويعرف عن المعري اعتناؤه بالشرح والتوضيح وإعطاء الحجج الكافية قصد إقناع مخاطَبه وهو ما نلحظه هنا؛ حيث دعَّم قوله هذا بحجة ثانية أو قصة أخرى تمثلت في قصة الجارح والعصفور: "كمثل عظيم من الجوارح الطير، كان يرجع إلى الأفراخ بمير ، فجاء ومعه إحدى الفور، فصمتت ذوات الأجنحة غير العصفور. فقال: قرت لا محتك من قَيْلٍ، ما اقتَنَع للنَّاهِضِ بخسيس النَّيْلِ، فقال ذلك الجَارِح لبَازٍ منه قريبٍ، لاقِ هذا الجاهلَ بسوء التثْريب من هُو؟ حتى يتَكَلم لديَّ، كأنه أمِن من رَدَيَّ، فأوْمَأَ البَازي المتجبِّر، وهو عن اختطاف البائِسِ متكبر، إلى بَاشِقٍ بالحَضْرَةِ، فأكلَه مُعْتَامًا وترَك أفْرَاخه أيْتامًا."(2) فالمعري من خلال هاتين القصتين حاول أن يؤكد

(*)-فرنب: فأر.
(**)-الضيغم: الأسد.
(***)-المحضب: المِسعر، والمقلى، وحضب النار، وأحضبها: رفعها وألقى عليها الحطب.
(1)- أبو العلاء المعري: رسالة الهناء ص76-77-79.
(2)- المصدر نفسه ص80-81-82.

على وجهة نظره، وأن يبين عدم كفاءته وأنه غير جدير بمخاطبة مراسله. وقد أحدثت القصتين امتاعا بدرجة أولى ثم إقناعا بدرجة أخرى فضلا عن تحريك خيال المرسل إليه وجعله يستحضر القصتين، ويربط بين الأحداث وما يرمي إليه المرسل.

استعمل **"المعري"** أيضا المثل التاريخي في قوله: "و ممن يصلح أن يتعرض له بالخطاب لو جادَتِ الآونة بغصونها الرِّطَابِ" **صاعِدُ ابن مَخْلَدٍ"**(*) وكان من ذوي المَجدِ الأَتْلَدِ، وصاحِبُ الكُتب **"سَهْلُ بن هارُونَ"**(**) و رؤساء لم يكونوا بالوَرْسِ يُهَارُونَ ... إذْ كانا في السَّالِف على شَرِيعَة المَسِيح يَنْظُرَان في مُلْك للعَرَب فَسِيحٍ، وجَرَى مَجْراهُما **"عَدِيُّ بن زَيْدٍ العِبَادِيِّ"**(***) مُشِيرا للنُّعمانِ فيما فَرَطَ من الأَزْمَانِ"[1]، فلكي يبين المعري قيمةَ مراسله، و من يماثله في القدر عاد إلى الزمن الماضي، واستحضر شخصيات كانت في ذلك الزمن ذات قدر وصيت عال، فلا يصلح للتعرض لهذا العظيم(المرسل إليه) بالخطاب من الأكفاء، وإزجاء التهنئة له من النظراء إلا: "صاعد بن مخلد " وصاحب الكتب "سهل بن هارون" ورؤساء لا يعابون ولا يتهمون، ولا ترقي إليهم الشبهات والظنون، ولا يرمون بالعيب والانتقاص، ومثلهم في هذا الشأن "عدي بن زيد" الذي كان مشيرا للنعمان فيما غبر من الزمان، وفي موضع آخر من الرسالة يقول: "مَازَالا- لِسَكَنِ هذه

(*) - صاعد بن مخلد: كان من أفذاذ الوزراء في الدولة العباسية، وقد ظفر في سنة 269ه بلقب "ذي الوزارتين"، ولما قدم من فارس في رجب من سنة 272ه ودخل مدينة واسط أمر "الموفق" جميع القواد ان يستقبلوه، وأخباره ذائعة مستفيضة. ينظر:رسالة الهناء:تحقيق كامل كيلاني ص74.

(**)- سهل بن هارون: بن راهبون، كنيته: أبو عمر، وهو فارسي الجنس أهوازي المولد، ولد في مدينة "ميسان" بين واسط والبصرة حوالي منتصف القرن الثاني للهجرة ، وقد رحل إلى" البصرة "في مستهل حياته حيث درس وارتوى من مناهل المعرفة والأدب، ما رفعه إلى أسمى ذروة ، وقد افتتن الجاحظ في تدوين أخباره في البيان والتبيين.ينظر:رسالة الهناء:تحقيق كامل كيلاني ص75.

(***) - عدي بن زيد العبادي: جاهلي نصراني، قبيلة تميم، موطنه الحيرة. ينظر:رسالة الهناء:تحقيق كامل كيلاني ص76.

الرُّبُوعِ- أَنْفَعَ من الحَنْتَفَيْنِ(*)، و يَشْرُفانِ على كل مَيْنٍ، لا كشرف الزَّهْدَمَيْنِ(**)، ولعلها في بني عبس تقدما بالرَّهَقِ والأَبْس"[2].

حاول **"المعري"** أن يُعلي من قيمة مراسله "أبي فلان" المخاطب المباشر ومن حل عليه ضيفا، وأن يبين أن نفعها كبير وقدرهما جليل مستغلا بذلك سيرة تاريخية تمثلت في سيرة الحنتفين اللذين كانا في عصرهما ينعمان بالسؤدد والشرف والجاه الذي بنياه على الصدق وعمل الخير، وهو يماثل حال مراسله وضيفه" أبي علي" ويؤكد على حجته ويزيد من معناها وتأثيرها في نفس المتلقي من خلال الصورة المتناقضة للزهدمين اللذين بنيا شرفهما على الظلم وارتكاب الشرور.

ومن الأمثلة التشبيهية التي قدمها "المعري" نذكر قوله: "وأما أقراني فأولئك حَملة عِصِي، يجلسون بالمكان القَصِي"[3] فقد شبه نفسه ومكانته - التي لا تضاهي مكانة مراسله - بحملة العصي الذين يجلسون بالمكان القصي، وهم العجزة والضعفاء الذين لا يقدرون على المشي والحركة فيستعينون بتلك العصي، ويحملونها عند الابتغاء والسعي، وقد ذكر هذا المثال ليبين حجته على أنه لا يداني مراسله ولا يكافؤه في القدرة وهي حجة تخاطب العقل والوجدان معا، والذي يبدو فيه المعري ضامنا اقتناع مراسله.

وقد تنوعت الاستدلالات والأمثلة في "رسالة الهناء" لزيادة إقناع المتلقي والتأثير فيه، وقد ساق المعري أدلة من قصص القرآن، ومن هذه القصص قصة **"بلقيس"**

---

[1]-أبو العلاء المعري: رسالة الهناء ص73 – 76.

(*) - الحنفيين: تثنية غلب فيها أحد الاسمين على الآخر، والمراد بها "الحنتف "و"أوس" ابنا "سيف بن حمري بن تميم".ينظر رسالة الهناء،تحقيق كامل كيلاني ص59.

(**) - الزهدمين: تثنية داخلة في باب التغليب، والمراد "زهدم" و"قيس"، أو "زهدم" و"كردم" ، وهما من بني عبس.ينظر رسالة الهناء،تحقيق كامل كيلاني ص59-60.

[2]- أبو العلاء المعري: رسالة الهناء ص93-94.

[3]- المصدر نفسه ص82 -83.

ملكة سبأ ممثلا بها على القدرة التي لا يمتنع سبحانه وتعالى في القدرة أن يهبها لمراسله بقوله: "ولا يمتنع في القدرة أن يَعْذُب لبَرَكَتِه الماء الأُجَاج فيعود كأنه من النحل مُجَاج (*) أو تيسر السفينة على اليبس ، تضيء كإضاءة القَبَسِ في يد متعجل وَشيك، وليس ذلك بمنال بَشِيكٍ(**)، أو تحملها الريح الهابة كحملها عرش المؤمنة بلقيس، إذا مُثِّلَ خبرٌ أو قِيس"[1].

ب- الشاهد: الشواهد أو الحجج الجاهزة هي من دعامات الحجاج القوية إذ يضعها المرسل في الموضع المناسب، وهنا تتبدى أهليته وبراعته في توظيفها حسب ما يتطلبه السياق[2]، ولم يستغن المعري عن ظاهرة الاستشهاد في رسالته، بل استدل من خلالها على صحة أقواله، وإقناع متلقيه إلى ما ذهب إليه، وذلك باستعمال حجج مختلفة سواء من القرآن الكريم أو من الشعر.

و من بين الشواهد التي أوردها المعري في رسالته قوله: " والأستَاذ سَهِرَ لإيمَانِ السَّارِيَةِ من الآسَادِ، وسوف يتَبيَّنُ سعادَة العاقِبَةِ في الدَّارِ العَاجِلَةِ قبل الآجِلَةِ، إذا كان خَلَّصَ أسِيرًا، أو جَبَر بعُرفِه كَسيرًا، فكأنما صنع صنيعًا عمَّر بِهِ أَبْناءَ الرَاكِدَة(***) جميعا. لقوله تعالى:﴿ **مِنْ أَجْلِ ذَلِك كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا ومَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا**﴾[3]. فقد أكد من خلال الآية القرآنية على فكرته القائلة بأن الأستاذ كان يسهر على حياة المسافرين، يؤمن ليلهم من هجوم الأسود (الآساء)، والموفق للعمل الصالح من أمّن سالكا وأنقذ من براثن الموت

(*) - مجاج : مجاج النحل: عسله.
(**)- منال بشيك: مطلب كاذب لأمل في إدراكه.
(1) - المصدر نفسه ص99- 100 -102.
(2) - عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب ص 37.
(***)- الراكدة: الأرض الساكنة الهادمة التي ركدت كركود الريح أو الماء بركود ساكنيها وموت من فيها .
(3) - أبو العلاء المعري : المعري: رسالة الهناء ص95 -96.

هالكا، ومن أحيا نفسا فكأنما صنع صنيعا، بعث به أبناء الأرض (الراكدة) جميعا، ولاشك أن عمارتها بالحياة يضاعف الحسنات، ويذهب السيئات والدليل على ذلك الآية الكريمة التي ذكرها المعري ،ومثال ذلك أيضا قوله مستشهدا بآية من آي القرآن الكريما(الآية 44 من سورة هود): ﴿**وَغِيضَ المَاءُ وَقُضِيَ الأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ**﴾. نلاحظ هنا كيف اعتمد المعري في إثبات صحة ما قاله على القرآن الكريم، وأتى لنا منه بدليل لإقناع مراسله، والتأثير فيه.

وقد استشهد المعري بالشعر في قوله:" إذا قال المادح هما حران، فمعاذ الله ان يعني نقيضي عبدين، ولا اللذين ذكرهما الأخطل بسكر البردين[*]" فقال:

عَفَا وَاسِطٌ مِنْ آلِ رَضْوَى فَنَبْتَلُ

فَمُجْتَمَعُ الحُرَّيْنِ فَالصَّبْرُ أَجْمَلُ

وإنَّما قَصَد كثيبي رَمل ولله يجعلها كابني شَمَامِ[**] أبدا في اجتماع الشمل" [1] وجاء الشاهد الشعري في هذا القول موضحا لما سبقه من أن لفظ "الحران" لا تعني نقيضي عبدين ولا ما ذكره الأخطل في شعره هذا وإنما تعني كثيبي رمل، فقد استدل به المعري إذا أثناء محاولته الكشف عن معني "الحران" وقوله في هذا أيضا:" وإنما يشَبَّهان بالحرين اللذين هما كوكبان، يراهما المُدْلِجُ ويتقاربان- كما قال القائل: **وَلَمَّا بَدَا الحُرَّانِ – وَاللَّيْلُ دَامِسٌ-**

[*]- البردان: الغداة والعشي وهم الصرعان .

[**] - شمام: جبل وله رأسان يسميان ابني شمام.

[1]-المصدر السابق ص87-88.

ذَكَرْتُ خَلِيطًا(***) نَازِلاً بِأَبَانِ " [1]

فالمعري من خلال هذا القول جعل الشاهد الشعري مدعما لإجابته وموضحا لها ،ويقول في موضع آخر من الرسالة في توضيحه دائما للفظة " الحران" مستدلا في ذلك ببيت شعري: "ولا معتمد من أثنى: الحران اللذان هما حُرٌ وأُبَيٌّ، لأن خفيف الاسمين غلب الثقيل، وكم لفظ لا يَحْسُنُ وإن قِيل، قال اليشكري :

أَلَا مَنْ مُبْلِغُ الحُرَّيْنِ عَنِّي

مُغَلْغَلَةً(*)، وَخُصَّ بِهَا " أُبَيًّا"[2]

ويقول أيضا:" الله بكرمه يُنعِم على الرَّعِيَّة، بمد البقاءِ لهما مُنْعَمَيْنِ، كالسِّمَاكَيْن(**)في النَّبَاهَة أو المِرْزَمَيْنِ(***)، فقد نَشَأ للعَدْلِ عَارِضٌ(****)، يَنْتَعِشُ منه البَارِضُ(*****)، كما قال الفرزدق:

يَا مَنْ رَأَى عَارِضًا أَرِقْتُ لَهُ

بَيْنَ ذِرَاعَيْ وَجَبْهَةِ الأَسَدِ "[3]

وقد قوى "المعري" قوله من خلال البيت الشعري، وقد شبه المعري السلطان "شبل الدول" بالأسد وهو نجم في السماء وشبه مخاطبه و"أبا علي" بذراعي الأسد كما

(***) - الخليط: الزوج وابن العم والصاحب والقوم الذين أمرهم واحد، الشريك الذي يخلط ماله بمال شريكه.
[1]- المصدر نفسه ص92.
(*) - مغلغلة: رسالة محمولة من بلد إلى بلد.

[2]- مصدر نفسه ص91-92.
(**) - السماكين: كوكبان نيران يقال لأحدهما: السماك الرامح والآخر السماك الأعزل.
(***)- المرزمان: نجمان تصحبهما الشِّعْرَيَانِ .
(****)- العارض: سحاب يعرض في أفق السماء

(*****)- البارض: أول ما يظهر من النبات
[3]- أبو العلاء المعري: رسالة الهناء ص112...121.

شبههما بالسماكين والمرزمين، فقد نشأ بهما للعدل عارض ينتعش منه البارض ثم أكد على ذلك بهذا البيت ونلاحظ من كل ما سبق أن "أبا العلاء المعري" قد ألحق بكل فكرة وردت في رسالة بشاهد سواء من القرآن الكريم أو الشعر ليعزز ويؤكد على ما يقوله، وحتى يزيد من إقناع مراسله والتأثير فيه.

ج- الروابط الحجاجية: ارتكز المعري من أجل اقناع مراسله على العديد من الوسائل لتقوية المعاني فاعتمد بعض الأدوات اللغوية التي يكون دورها هو الربط الحجاجي بين قضيتين وترتيب درجاتها بوصف هذه القضايا في الخطاب، وهي أحد المؤشرات الحجاجية التي تسند معنى من المعاني إلى القولات التي يتلفظ بها المتكلم، وهي لا تدل بحد ذاتها على أي معنى وإنما تربط فقط بين الألفاظ المختلفة لتبيان العلاقات القائمة فيما بينها، وبها يوجه دفة الحجاج بداية ونهاية، افتتاحا واختتاما[1]، وتحتوي اللغة العربية على عدة روابط حجاجية شأنها في ذلك شأن اللغات الأخرى، بحيث يمكن أن نذكر منها ما يلي: بل، لكن، لاسيما، حتى، لأن، بما أن، إذا، الواو، الفاء، اللام، كي... إلخ[2] وتعد هذه الروابط مهمة لما لها من دور فعّال في اتساق النص وربط أجزائه وتوضيح معانيه. تنوعت هذه الروابط في رسالة الهناء ونذكر منها:

ج1-الرابط الحجاجي "لأن": يعتبر من أهم ألفاظ التعليل، ويستعمل لتبرير الفعل يقول المعري: "وليس غرض المقرض حري معد ، اللذين ذكرهما "ابن مَعْدِ يَكْرِبَ" أخُو الحَدِّ لأنه يروى عنه كلام معناه: أني كنت آخذ ظَعِينة أطوف بها في أَمْواهِ" مَعَدٍ" ما لم يلقني حُرَاهَا وعَبدَاها"[3]

[1]- ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب ص508، ورضوان الرقبي: الاستدلال الحجاجي التداولي وآليات اشتغاله، مجلة الحجاج، عالم الفكر، العدد2، المجلد40، أكتوبر – ديسمبر 2011 ص101.

[2]- أبوبكر العزاوي: اللغة والحجاج، العمدة في الطبع، الدار البيضاء- المغرب ،ط1: 2006 ص55.

[3] - أبو العلاء المعري: رسالة الهناء ص 88-89-90.

فالرابط الحجاجي هنا هو "لأن" والحجة هي " يروي عنه كلام معناه أني كنت آخذ ظعينة أطوف بها في أمواه معد ما لم يلقني حراها وعبداها" والتي جاءت لتعلل النتيجة "وليس غرض المقرض حري معد، الذي ذكرها "ابن معد يكرب" أخو الحد"، والرابط جاء بعد إلقاء هذه النتيجة. فقد ربط إذن بين الحجة والنتيجة. وقوله أيضا: "ولا مُعْتَمَدَ من أُثْنَى: الحُرَّانِ اللَّذان هما حُرٌّ وأَبَيٌّ لأن خفيف الاسمين غَلَب الثَّقِيلَ"[1]

النتيجة في هذا القول: "ولا معتمد من أثنى: الحران اللذان هما حر وأبي" والحجة هي: "حفيف الاسمين غلب الثقيل"، والرابط بينهما "لأن" وفي قوله: "ومهاجرة الأستاذ أبي فلان... أفضل من أخي كندة لأنه سلك تلك المسالك ساعيا في حرب وفساد"[2].النتيجة في هذا القول تمثلت في "مهاجرة الأستاذ أبي فلان...أفضل من أخي كندة " والرابط الحجاجي هو "لأن" ،أما الحجة الأولى فهي "لأنه سلك تلك المسالك في حرب" والحجة الثانية هي "الفساد"، ففي هذا المثال جاءت الحجتان لتدعيم النتيجة المطروحة، ولتبرير وتعليل سبب أفضلية هجرة الأستاذة على هجرة" أخي كندة ".

ج2-الرابط الحجاجي" فإن": الذي يفيد التوكيد، ونجد ذلك في قول "المعري": " والحَقُ لمن وَخَاه، فإنهما ربيعا عام يجيئان البشر بالإنعام"[3] فالرابط "فإن" جمع بين النتيجة والحجة، فتنتج عن ذلك إقناع المرسل إليه، وجعله يعتقد ما يعتقده المخاطب .

ج3-الربط الحجاجي "لكن": و هو رابط تعارض، فهو "حرف استدراك، ومعنى تنسب حكما لاسمها، يخالف المحكوم عليه قبلها، كأنك لما أخبرت عن الأول

---

[1]- المصدر نفسه ص91.

[2]- المصدر نفسه ص94.

[3]- المصدر نفسه ذكره ص 93.

بخبر، خفت ان يتوهم من الثاني مثل ذلك، فتداركت بخبره، إن سلبا، وإن إيجابيا ولذلك لا يكون بعد كلام، ملفوظ به، أو مقدر...ولا تقع لكن إلا بين متنافيين"[1].

يقول "**المعري**":" فأما الأستاذان الجليلان- زاد الله ضِياءَ الأيامِ ببقائهما- فلا يُعدَل بهما الأصْفَران، إذا تُرجم عنهما بالذهب والزعفران، وإن كان أحدهما طَيِّبًا يُنْشَقُ، والآخر مَالاً يُدَّخَرُ ويُنْفَقُ ولكنهما في الهداية مثل القمرين"[2] فـ"لكن" في هذا القول تربط بين حجتين، الأولى وهي التي جاءت قبل "لكن" تخدم نتيجة ضمنية من قبيل(أن الأستاذ ان يشبهان في قيمتهما ومكانتهما بالذهب والزعفران) أو من قبيل(قلة أمثالهما في المجتمع أو العصر الذي يعيشون فيه). أما الحجة الثانية فقد جاءت بعد "لكن" (في الهادية مثل القمرين).وهي تخدم نتيجة ضمنية معارضة ومناقضة للحجة الأولى من قبيل أنهما ينعمان بفضلهما على كل العباد مثل القمر الذي ينير بضوئه فيضيء ظلمة الليل فجاءت الحجة الثانية أقوى من الأولى ومعارضة لها.

وفي قوله أيضا:" وما عَنَيْتُ شَهرين يُعْرَفَان في السَّنة بِهِلَالَين ولكن أَرَدْتُ نَيْسَانَ وَأَخَاهُ"[3] ،وتربط "لكن" في هذا القول ايضا بين حجتين متناقضتين الأولى تتمثل في: "وما عنيت شهرين يعرفان في السنة بهلالين" فلم يُعنى بهذا الكلام الشهور العادية المعروفة بهلالها فقدم لنقيض هذا القول في حجة ثانية تمثلت في: " أردت نيسان وأخاه" أي قصد هذين الشهرين بالتحديد دون غيرهما لأنهما مشهورين بخصبهما وجمالهما فناقض بذلك الحجة الأولى فكانت ضعيفة .

ج4-الرابط الحجاجي "حتى": وهو رابط التساوق الحجاجي، وقد أقر كل من" **ديكرو**" و" **أنسكومبر**" بأن: "الحجج المربوطة بواسطة هذا الرابط ينبغي

[1]- عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب ص 509.
[2] - أبو العلاء المعري: رسالة الهناء ص 86.
[3] – المصدر السابق ص 92.

أن تنتمي إلى فئة حجاجية واحدة، أي أنها تخدم نتيجة واحدة، والحجة التي ترد بعد هذا الرابط تكون هي الأقوى، لذلك فإن القول المتمثل على الأداة "حتى" لا يقبل الإبطال و التعارض الحجاجي"[1].

وجاء هذا النوع من الروابط في "رسالة الهناء": في قوله:" وقد كنت عزمت على الإمساك حتى أشار بالقول وليهما أبو فلان" [2] الرابط هو "حتى" والحجة الأولى تمثلت في "وقد كنت عزمت على الإمساك" والثانية "أشار بالقول وليهما أبو فلان"، وجاءت الحجة الثانية لتفسر وتبرر الحجة الأولى، فجاءت هذه الحجج إذن متساوقة وتخدم نتيجة واحدة .

ج5-الرابط الحجاجي" الواو": وهو أكثر الروابط الحجاجية استعمالا في "رسالة الهناء" لأنه يعمل على ربط الحجج وترتيبها و نسجها في خطاب واحد متكامل وكذلك الرابط" الفاء" الذي يربط كذلك الحجج إلا أنه يختلف عن الواو في كونه يفيد الانتقال من حالة إلى حالة بصورة سريعة، فهي إذن روابط تفصّل مواضع الحجج، بل وتقوي كل حجة منها الحجج الأخرى، ولا تنحصر في الربط النسقي على المستوى الأفقي، بل تتجاوز ذلك إلى الترتيب العمودي[3] ومثال ذلك في "رسالة الهناء" قوله:" فمن هذا الرجل الصالح الذي عمِل خيْرًا في الصَرْعين ودَأَبَ في صَلَاح الشَرعين، فتولى الله عن الأنس كَفاءَه وحفِظَ له في الدَارين وَفَاءَه ولا يَمْتَنِع في القُدْرة أن يَعْذب لبَرَكتِه الماء الأجَاج" [4].

نلاحظ في هذا المثال تناسق الحجج وترابطها فيما بينها، وقد جمعت الواو بين عمل الخير في الصرعين وبين الدأب والمداومة على إصلاح الشرعين

---

[1]- أبوبكر العزاوي: اللغة والحجاج ص 73.

[2]- أبو العلاء المعري: رسالة الهناء ص125

[3]-ينظر : عبد الهادي بن ضافر الشهري: استراتيجيات الخطاب ص472-473.

[4]- أبو العلاء المعري: رسالة الهناء ص 99.

(أو إصلاح ذات البين) حيث تدرجت في ذلك بعمل الخير في الصرعين أولا ثم الدوام على ذلك وإصلاح ذات البين، وجاءت وظيفة الفاء لتجمع بين قضيتين غير متباعدتين، جاءت بين عمل الخير و صلاح الشرعين وبين مكافأة الله على هذا الفعل بحفظ الدارين له وعدم الامتناع من أن يعذب لبركته الماء الأجاج (المالح)، وقد ترتبت الحجج ترتيبا تصاعديا من الحجة الأضعف إلى الحجة الأقوى لتبين نتيجة وتثبتها وهي قدرة الله سبحانه وتعالى على مكافأة عباده.

وقوله أيضا:" فأومأ البازي المتجبر وهو عن اختطاف البائس متكبر إلى باشق فأكله معتاما وترك أفراخه أيتاما"[1]،جاء الربط في هذا القول بحرف" الفاء" بين الأمر الذي صدر للباشق من طرف البازي المتحير وبين فعل الأكل الذي تم مباشرة بعد صدور الأمر وهذا ما دل عليه حرف" الفاء" الذي يربط بين أحداث متقاربة في الزمن، كما استعمل حرف " الواو" الذي أدى إلى تناسق الحجج وترابطها ببعضها.

ومن خلال كل ما سبق نجد أن الروابط التي وظفها المعري كانت ذات قيمة حجاجية كبيرة، فالإضافة إلى ربطها بين الحجج نجد أنها تسهم في تقوية المعنى وتحديد العلاقة الخطابية بين المتكلمين من جهة، وبين أطراف النص من جهة أخرى.

نلاحظ إذا كيف أن "المعري" استعمل في سبيل إنجاح العملية التواصلية استراتيجيات لإقناع مراسله "أبي فلان" فعمد إلى التدرج في عرض أفكاره بدءا بالاستهلال الذي مهد فيه للموضوع الذي يخضع في تأويله والوقوف على دلالاته إلى السياق، وانتهاءً بالحجج التي جاءت بحسب ما تقتضيه الرسالة، وما تمليه ضرورة التبليغ إلى المرسل إليه، فقد دعّم كلامه بأدلة سواء من القرآن الكريم

[1]- المصدر نفسه ص82.

أو من الشعر، أو من خلال الأمثلة وهي عناصر ضرورية لنجاح العملية الحجاجية والرفع من قيمتها، ووقوفا على الروابط التي أدت إلى انسجام النص وتقوية معناه.

وبعد تعرفنا على العملية التواصلية والاستراتيجيات التي انتهجها "المعري" في سبيل إقناع مراسله والتأثير عليه، ارتأينا أن يكون الفصل الموالي- باعتبار أن البحث مقاربة تداولية – مخصصا لرصد أهم المرتكزات التداولية التي حملتها الرسالة.

الفصل الثالث:
تجليات المرتكزات التداولية

1- الإشارات

2 - الافتراض المسبق

3- الاستلزام الحواري

4 - الأفعال الكلامية

لقد حجم جل الدارسين عن إعطاء حد معين لموضوعات التداولية ومرتكزاتها ذلك أنها اختصاص لا يستمد تبريره إلا من خلال استخداماته، فهي تدرس استخدام اللغة داخل الخطاب والسمات المميزة التي تؤسس وجهته الخطابية في صلب اللغة [1]، وإذا كانت الخطابات، هي إنجاز للأفعال اللغوية في الأساس بما في ذلك تحديد الإشاريات، والتعبير عن المقاصد، وتحقيق الأهداف، فإن كيفية إنجازها و توظيفها في السياق، هو ما يحدونا إلى دراسة اللغة في استعمالاتها دراسة تداولية تعنى بكيفية إنتاج الخطاب الذي يتأثر بتطور وتغير الأحداث الزمنية، فعدم استقرارها يحدث تحولات في السياق، ويتضح هذا في استعمال الإشارات الزمنية، كما أن معنى الخطاب في الأعراف الاجتماعية مرتبط بأوقات معينة؛ ويتدخل في تشكيل الخطاب عنصر سياقي ذو فعالية يتمثل في المكان، فمعرفته تحدد استعمال بعض الأشكال اللغوية والألفاظ في الخطاب، كما يتفاوت إنجاز بعض الأفعال اللغوية حسب المكان. وفي مرحلة إنتاج الخطاب يبدأ المرسل ببلورة الكيفية ماديا، إذ يؤسس اختيار علامات الخطاب بناء على صورة السياق الحاصلة والمتوقعة في المستقبل، فيتشكل الخطاب الذي لا يعد التلفظ به فعلا صوتيا فحسب، بل هو فعل لغوي، فهناك أعمال لا يمكن إنجازها إلا من خلال اللغة، وهذا ما يجعل الخطاب فعلا. وهذه الأفعال هي ما يسمى بالأفعال اللغوية، وقد تبلورت بوصفها نظرية في الدرس المعاصر، وتنوع دلالة الأفعال اللغوية ليس محكوما بشكلها اللغوي، بل محكوما بقصد المرسل من خلال الموائمة بين الشكل اللغوي المناسب وبين السياق ولا يمكن أن يكون المعنى الحرفي للغة هو معنى الخطاب الوحيد، بل اهتمت الدراسات بالمعنى التداولي، وكيفية التعبير عنه بالفعل اللغوي غير المباشر[2].

[1]- ينظر: الجيلالي دلاش : مدخل إلى اللسانيات التداولية ص 43 .

[2]- ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري : استراتيجيات الخطاب ص 62...78 .

فالتداولية إذا ومن خلال كل ما سبق تركز على مجموعة من المفاهيم الإجرائية و القضايا لتمكنها من معالجة اللغة في سياقات استعمالها المختلفة، فتسهم في كشف المعنى بأدق صورة ممكنة و أكثرها ضبطا، وفيما يلي سنتناول بعض هذه المرتكزات التي تجلت على سبيل المثال لا الحصر في: الإشاريات، الافتراض المسبق، الاستلزام الحواري، الأفعال الكلامية.

1- الإشاريات :

وهي الدرجة الأولى من درجات التحليل التداولي و التي تعنى باستجلاء مدى ظهور المخاطِب والسياق الزمني والمكاني في الخطاب، بتتبع العناصر الإشارية والرموز التعبيرية المبهمة ضمن ظروف استعمالها، وتعتمد على السياق الوجودي . المتمثل في المخاطبين، و معطيات الزمان المكان[1].

فهي العلامات اللغوية التي لا يتحدد مرجعها إلا في سياق الخطاب التداولي، لأنها خالية من أي معنى في ذاتها، ولذلك سميت بالمبهمات فبالرغم من ارتباطها بمرجع ،إلا أنه مرجع غير ثابت، لأنه يتغير تبعا للسياق الذي ترد فيه الإشاريات [2]. فللإشاريات دور بالغ في تحديد دلالة التركيب، ولا يقف دور الإشاريات في السياق التداولي عند الإشاريات الظاهرة، بل يتجاوز إلى الإشاريات ذات الحضور الأقوى، وهي الإشاريات المستقرة في بنية الخطاب العميقة، عند التلفظ بها، وهذا ما يعطيها دورها التداولي في استراتيجية الخطاب، وذلك لأن التلفظ يحدث من ذات بسمات معينة، وفي مكان وزمان معينين، و هما مكان التلفظ ولحظته إذ تجتمع في الخطاب الواحد على الأقل ثلاث إشاريات هي: (الأنا ، الهنا ، الآن) وعليه تكون "الإشاريات هي تلك الأشكال الإحالية التي ترتبط بسياق المتكلم مع التفريق الأساس بين التعبيرات الإشارية

[1]- ينظر: فرانسواز أرمينكو: المقاربة التداولية ص 61-67 .

[2]- ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري : استراتيجيات الخطاب ص 80-81 .

البعيدة عنه"[1]. ويتفق أغلب الباحثين على أن الإشاريات تنقسم إلى خمسة أنواع هي: إشاريات شخصية، إشاريات زمانية، إشاريات مكانية، إشاريات اجتماعية و إشاريات نصية أو خطابية [2].

أ- **الإشاريات الشخصية:** وهي بشكل عام الإشاريات الدالة على المتكلم أو المخاطب أو الغائب [3] ، وأوضح العناصر الاشارية الدالة على شخص هي ضمائر الحاضر ، والمقصود بها الضمائر الشخصية الدالة على المتكلم وحده مثل "أنا" أو المتكلم ومعه غيره مثل "نحن"، والضمائر الدالة على المخاطب مفردًا أو مثنى أو جمعا، مذكرا أو مؤنثا، وضمائر الحاضر هي دائما عناصر اشارية، لأن مرجعها يعتمد اعتمادا تاما غلى السياق الذي تستخدم فيه[4]، فهي غير ذات معنى، ما لم يتعين ما تشير إليه، فهي أشكال فارغة في المعجم الذي يمثل المقام الصفر[5]. أما ضمائر الغائب فلا تدخل في مجال الإشاريات إلا إذا كانت حرّة أي لا يعرف مرجعها من السياق اللغوي[6].

وبناءً عليه فإنه يتوجب علينا من خلال "رسالة الهناء" معرفة من يتكلم وإلى من؟ من يتكلم ومع من؟ من يتكلم ولأجل من؟ وباعتبار المقاربة التداولية تحاول الإجابة على ذلك أيضا- كما سبق وأن أشرنا - وهذا يستدعي الوقوف على الضمائر التي تشير إلى المتكلم، والضمائر التي تشير إلى المخاطَب، وكذلك الضمائر التي تشير إلى الغائب.

---

(1)- المرجع السابق ص 81 .

(2) - محمود أحمد نحلة : آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ص 17 .

(3)- عبد الهادي بن ظافر الشهري : استراتيجيات الخطاب ص 82 .

(4)- محمود أحمد نحلة : آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ص 17-18 .

(5)- الأزهر الزناد :نسيج النص: بحث فيما يكون به الملفوظ نصا ، المركز الثقافي العربي: ط1:1993 ص 116 .

(6)- محمود أحمد نحلة : آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ص 18 .

أ- ضمائر المتكلم: لم يرد في الرسالة ضمير المتكلم " أنا " أي ضمير المتكلم المنفصل، فلم يكن له حضور في المدونة، على عكس ضمير المتكلم المتصل الذي ورد ولكن بأشكال قليلة نذكر منها قول المعري: "وإنما خصصتُ "صاعدا" و"سهلا" وإن كانَا للتَكْرِمَةِ أَهْلًا" [1]. ويشير في هذا التركيب إلى نفسه "خصصت"، وكيف أنه خص بالذكر "صاعدا" و "سهلا" دون غيرهما، فهو يوضح للمرسل إليه ذلك، وهو ما عُرف عن "أبي العلاء" من عنايته بالشرح و التوضيح، وتوخيه إفهام السامع ما يرمي إليه .

وكذا في قوله: "وما عَنَيتُ شَهْرَيْنِ، يُعْرَفَانِ في السَّنَةِ بهِلَالَينِ، ولكن أَرَدْتُ نَيْسَانَ و أَخَاهُ " [2].

فقد تضمن هذا التركيب أيضا ضمائر تدل على ذات المتكلم وذلك من خلال "تاء المتكلم" التي اتصلت بالكلمتين: "عنيت" و "أردت"، وهما تدلان على عنايته بالتوضيح حتى لا تُفهم كلماته بعكس ما يريده، فهو يحاول دائما أن يبلغ ما يعنيه إلى السامع بشكل صحيح.

وفي قوله: "وقَدْ كُنتُ عَزَمْتُ عَلى الإِمْسَاكِ... فإن كنت أسَأتُ الأدَبَ في المُكَاتَبَةِ... وقد أسأتُ الأدَبَ ثلَاثًا والتَثلِيثُ مَذهَبُ المَسِيحِيَّةِ، فإن أتيتُ بالتَرْبيعِ فما أجْدَرَنِي بِبُلُوغِ التَسْبيعِ"[3].

فهو يبين من خلال هذا أنه لم يرد الكتابة إلى "أبي فلان"، و أن ما بدر منه يعتبر إساءة، وهو لا يريد أن يتمادى أكثر من ذلك. و يستعمل في ذلك ضمير المتكلم المتصل غالبا بالفعل الماضي الذي يحمل وظيفة الفاعلية، فهو يشير إلى فعل سابق بدر منه.

---

(1) - أبو العلاء المعري : رسالة الهناء ص 75 .

(2) - المصدر نفسه ص 92 .

(3)- المصدر نفسه ص 125- 139- 140 .

ونجد في المدونة تراكيب تحمل ضمير المتكلم المتصل (ياء المتكلم)، ولكنها قليلة جدا لأن "المعري" يرى نفسه غير جدير بالتكلم عن نفسه في حضرة مراسله، فلم نلمس في الرسالة ما يشير إلى ذات المتكلم إلا في قوله: "فقرني ضل بن ضل"[1] فهو هنا يوجه خطابه إلى المرسل إليه ناكرا لنفسه، فقد نفى أن يكون له أقران يدانون ممدوحه في مرتبته و يشاركونه في منزلته، فقد شبه نفسه بجملة العصي يستعينون بها على الحركة و المشي، ودعا المرسل إليه. إن هو أخطأ هذا الصنف من الناس وفقد بينهم صاحبه – أن يعتبره – ضل بن ضل أي من لم يعرف أباه، فهو مجهول النسب، فالمتكلم (المعري) هنا يريد أن يبين "لأبي فلان" (من كتب له) أنه : شتان بين النكرات وبين أصحاب الرياسات و المراتب العالية .

أ2- **ضمائر المخاطَب:** بعد قراءة الرسالة نلاحظ أن الكاتب (المعري) وظف ضمائر المخاطَب المتصل فقط، ولم يستعمل الضمير المنفصل (أنت) أو الضمائر المستترة التي تدل على المخاطَب. ونورد فيما يلي خطاب الأجناب للفرنب (الفأر) - الذي تكلم في حضرة الضيغم - بقولهم: "أَهَّلْتَ نَفْسَكَ لخِطَابٍ ما كُنتَ لهُ بأَهْلٍ فعُدِدْتَ من أَصْحَابِ السَّفَهِ وَالجَهْلِ"[2]، ويبدو جليا من خلال هذا التركيب أن الأجناد - وهم جنود الأسد- قد خصوا هذا الفأر بالكلام وخاطبوه خطابا مباشرا أوسّعوه فيه بالتقريع و الملامة لِما بدر منه من تصرف غير لائق يستحق العقاب عليه؛ حين أهّل نفسه لخطاب من هو أعلى منه شأنا و أرفع قدرا. فلم توظف الضمائر المتصلة إذا إلا بشكل قليل جدا.

أ3- **ضمائر الغائب:** تعد الشخصية الثالثة عنصرا في الخطاب (الحديث) ميزتها أنها تبتعد عن الإبهام ويدعوها **"جون سرفوني j . cervoni " "باللا- شخص - non-personne "** ، ولكن لا يمكن للضمير أن يعبر عن اللا- شخص - بحيث لا يظهر إلا إذا أراد المتكلم ذلك. تقول **"أركيوني orechioni"**:

---

[1]- المصدر السابق ص 85 .

[2]- المصدر نفسه ص 79 .

"إن التصريح القائل أن الضمير (هو) تمكن وظيفته في التعبير عن اللا- شخص- يبدو غير صحيح تماما إنما يكون ذلك في بعض الأساليب التي يرغب فيها المتكلم تحديد طبيعتها"[1]، إنه يمكن أن نطلق على (هو) الضمير الغيبي، ولا يختلف عن (أنا) و (أنت) ولا يمكن تحديد وظيفة (هو) خارج أفعال الكلام Actes de parole حسب "**مانغونو Maingueneau** "، فالسياق اللغوي هو الذي يسمح بترجمة (هو)، وربطه بسابقه يقدم له مدلولا ، نفس الشيء بالنسبة لـ : (أنا) و (أنت) اللذان يفتقدان للمرجعية في حالة فقدان الاستعمال الواقعي لهما. فضمائر الشخص تبقى الأكثر جلاء، والأكثر معرفة من الضمائر[2].

وفي "رسالة الهناء" نجد أن الشخصية الثالثة حاضرة في قول "أبي العلاء" :"بِقُدُومِ الأُسْتَاذِ حَلِيفِ الجَلَالَة: "أبي علي" لا فَتِئ -للزمَنِ- أنْفَسَ حُلِيٍّ "[3]، فهو يذكر الشخص الذي حل ضيفا على الأستاذ "أبي فلان". فما تقدم برسالة التهنئة هذه إلا بمناسبة قدوم الأستاذ "أبي علي" أليف النبالة وحليف الجلالة.

و"المعري" بنى رسالته على ضمير الغائب الذي تنوع وتعدد بتعدد مرجعيته في السياق .

فنجد ضمير الغائب المنفصل الذي ورد في التراكيب: "فهُو بِهِمَا يُهَنَّأُ، خَضَبَ لَوْنه اليَرَنَّأُ " [4]. "حتى إذا هو قَضَى اللَّبَانَـة" [5]. نلاحظ أن الضمير "هو" يعود على الأستاذ الذي بعث له "أبو العلاء" بهذه الرسالة .

---

[1]- ذهبية حمو الحاج : لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب ، دار الأمل ، د ط ، د ت ص 102- 103.

[2]- المرجع نفسه: ص 103 .

[3] - أبو العلاء المعري : رسالة الهناء ص 72 .

[4]- المصدر نفسه ص 72 .

[5]- المصدر نفسه ص 104 .

وفي قوله: " ولَا مُعْتَمَدَ من أثْنَى: الحُرَّانِ اللَّذَانِ هما حُرٌّ و أُبَيٌّ ...وإنَّمَا يُشَبَّهَانِ بالحُرَّيْنِ اللَّذَينِ هُمَا كَوْكَبَانِ"، فمرجع الضمير "هما" هو "الحران" اللذان شبها بهما المادح والأستاذان الجليلان اللذان يماثلان الأستاذ "أبي فلان" في الكفاءة .

كما نجد في الرسالة ضمير الغائب المتصل "الهاء" الذي يشير إلى المفرد المذكر في التراكيب: "خَضَبَ لَوْنه اليَرَنَّأُ...و أشْبَاهُهُ في العَصْرِ قَلِيل. . . ومِمَّن يَصْلُحُ أَن يَتَعَرَّضَ لهُ بالخِطَابِ""[1]، "لا بَرِحَ في يَدِ المَمْلَكَةِ بِهِ سِوَار""[2]. فالهاء المتصلة بـ" لونه ، أشباهه، له، به " مرجعها هو " الأستاذ " أما في قوله: " فحَمَلَهُ العَرِيسَة...واجْتَمَعَتْ إِلَيه أصْنَافُ الوُحُوشِ...و كَأَنَّه من الأَسَف على مِحضب.."[3] فمرجع الضمير المتصل (الهاء) في هذه التراكيب هي الأسد الذي ضرب به "المعري" مثال الملك الجبار ذو السلطة و الوقار .

وقوله: "قال فِرْنب، هو - في المَقالَة- مُذنِبٌ ، كان بالأَجِمَّة لهُ وِجَار، والضَيغم له نِعمَ الجَار، يَمنَعُهُ أذَاةُ الشَغُوبِ"[4]، يعود (الهاء) في هذه التراكيب (له ، يمنعه) على مرجعها "فرنب أي الفأر" .

والضمير الغائب المتصل "هما" الذي يشير إلى المثنى في قوله: "فأمَا الأُسْتَاذَانِ الجَلِيلَانِ، - زَادَ اللهُ ضِيَاءَ الأيَامِ ببقَائِهِمَا- فلَا يُعْدَلُ بِهِما الأَصْفَرَانِ إذا تُرْجِمَ عَنْهُمَا بالذَهَبِ والزَعْفَرَانِ ...ولكنهما في الهِدَايَةِ مثلُ القَمَرَينِ، و أَوَانُهُمَا في النَّصْفَة كأوانِ العُمَرَين... نُوقِنُ أنَّهُما رِيقًا نَبَإٍ يُسَمَى الوِزَارَة... "[5].

نلاحظ أن مرجع الضمير "هما" الذي يشير إلى المثنى المتصل بكلمات من مثل: (بقائهما، بهما، عنهما، لكنهما، أوانهما، أنهما) هو: الأستاذان الجليلان اللذان

---

[1]- المصدر السابق ص 72- 73.

[2]- المصدر نفسه ص 94.

[3] - المصدر نفسه ص 77-78

[4] - المصدر نفسه ص ن.

[5]- المصدر نفسه ص 86 .

خصّهما "المعري" بالمدح والثناء فهما يدانيان الأستاذ "أبي فلان" في الكفاءة ، واعتبرهما ممن كانوا للتكرمة أهلا .

فمن خلال الأمثلة التي سبق ذكرها نلاحظ أن حضور ضمير الغائب المتصل الذي يدل على "شبل الدولة" وسعة الود التي يحملها المتكلم تجاهه كان قويا ومكثفا على عكس ضمير الغائب المنفصل الذي لم يكن موجودا إلا في مواضع محددة فقط كالضميرين "هو" و "هما" اللذين سبق الإشارة لهما .

ب - الإشاريات الزمانية :

"هي كلمات تدل على زمان يحدده السياق بالقياس إلى زمان التكلم، فزمان التكلم هو مركز الإشارة الزمانية في الكلام، فإذا لم يعرف زمان التكلم أو مركز الإشارة الزمانية التبس الأمر على السامع أو القارئ" [1]، ومن أجل تحديد مرجع الأدوات الإشارية الزمانية، وتأويل الخطاب تأويلا صحيحا، يلزم المرسل إليه أن يدرك لحظة التلفظ ، فيتخذها مرجعا يحيل عليه ، ويؤول مكوّنات التلفظ اللغوية بناء على معرفتها[2].

وقد قام **"بنفنست"** بتقسيم الزمن إلى ثلاثة أقسام معتمدا على علاقة المتكلم بالزمن كما يلي :

- الزمن الطبيعي: وهو زمن يحس به الإنسان ويدركه في حياته، ويمتاز عن غيره من الأزمنة باللانهائية والخطية بمعنى "الاستمرارية" "La linéarité".

- الزمن التاريخي: ويمثل فيه الإنسان جزءا لا يتجزأ من البيئة التي ينتمي إليها.

ومن اللسانيين من يحاول إبعاد الزمن من المرجعية، إذ يؤكد **"بنفنست"** أن الأحداث ليست هي الزمن لكن متضمنة فيه[3]، في حين نجد **"أركيوني Orecchioni"** تقول: "إن الزمن هو حصر حدث ما في محور الأزمنة بالنسبة

(1)- محمود أحمد نحلة : آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ص 19 .

(2)- عبد الهادي بن ظافر الشهري : استراتيجيات الخطاب ص 83 .

(3)- ذهبية حمو الحاج : لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب ص 105 .

لوقت معتمد كمرجع"[1]. ويعود هذا الزمن إلى تاريخ معين باعتماده مرجعا نظرا لأهميته التاريخية في حضارة معينة.

- زمن الحدث: وهو الزمن اللغوي أو ما يدعوه **"بنفنست"** زمن الحديث، أو زمن الخطاب حسب **"تودوروف"**، وهو البحث عن تمثيلية الزمن في ارتباطه مع لحظة الحديث[2].

وتجدر الإشارة إلى أن العناصر الإشارية قد تكون دالة على الزمان الكوني الذي يفترض سلفا تقسيمه إلى فصول، وسنوات، وأشهر، وأيام، وساعات ...إلخ . وقد تكون دالة على الزمن النحوي، وقد يتطابقان في سياق الكلام، وقد يختلف الزمن النحوي عن الزمان الكوني، فتستخدم صيغة الحال للدلالة على الماضي، وصيغة الماضي للدلالة على المستقبل، ولا يمكن معرفة الدلالة إلا من خلال معرفة سياق الكلام ومرجع الإشارة[3].

وقد لجأ **"المعري"** في هذه الرسالة إلى توظيف الإشاريات الزمانية في سياق الإنتاج، فلا يمكن للقارئ أن يدرك دلالة الزمن إلا من خلال معرفة السياق الذي ورد فيه. ففي قول المعري: "بِقُدُومِ الأُستَاذِ "أبي علي" لا فَتِئَ - للزَمَنِ- أَنفَسَ حُلِيٍّ"[4]. نلاحظ أن العنصر الزماني "زمن" يحمل معنى البعدية، فالمعري في هذا السياق يقصد أنه يتمنى أن يبقى الأستاذ "أبي علي" أبد الدهر أنفس حلي، وأن يظل على الدوام من ذوي المجد و العظمة، وأن يبقى على ما هو فيه مدى الحياة. فالزمن إذن في هذا القول يشير إلى الحياة الدنيا التي يعيش فيها المرء سعيدا تارة و شقيا تارة أخرى، فالحياة دائمة التبدل و التغير، ودوام الحال من المحال، إلا أن

(1)- C K . Orechioni , l'énonciortion de la subjectivité dans le langage , Armand Colin éditeur , Paris 1990 p45

(2)- ذهبية حمو الحاج: لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب ص 105- 106 .

(3)- محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ص 21 .

(4)- أبو العلاء المعري: رسالة الهناء ص 72 .

المعري هنا يتمنى أن لا تزول النعمة على الأستاذ "أبي علي"، و أن يبقى أبد الدهر على ما هو عليه.

ومن الإشاريات الزمانية التي تدل على الزمن الحاضر قوله: "و أَشبَاهُهُ في العَصْرِ قلِيل، وقَدْ وَضَحَ بذلك الدَلِيل"[1].

فمن خلال هذا القول نجد أن "المعري" يقصد الفترة الزمنية الحالية فكلمة "في العصر" إنما تدل في هذا السياق على معنى الزمن الحاضر الذي يعيش فيه المرسل إليه. فهو يبين أن من يماثله في عصره قليل.

وتندرج في هذه الرسالة أيضا الإشاريات الزمانية الدالة على الماضي وذلك في قوله: "وإِنَمَا خَصَصْتُ "صَاعِدًا" و "وَسَهْلًا "- وإِنْ كَانَا للتَكْرِمَة أَهْلًا- إذ كَانَا في السَالِفِ على شَرِيعَةِ المَسِيحِ، يُنْظَرَان في مُلْكٍ للعَرَبِ فَسِيحٍ. وَجَرَى مَجْرَاهُمَا "عَدِيُّ بن زَيْدٍ العِبَادِيِّ" مُشِيرًا للنُعْمَان فِيما فَرَطَ من الأَزْمَانِ"[2].

فكلمتا: "في السالف" و "فيما فرط من الأزمان" تحملان معنى القبلية، فهو يشير إلى أنه خص بالتنويه "صاعدا" و "سهلا" الذين كانا في السالف أي قبل الإسلام على دين المسيح ينظران نظر سياسة وتدبير، ومثلهما في هذا الشأن "عدي بن زيد " الذي كان مشيرا للنعمان فيما غبر من الأزمان .

فقد عاد "**المعري**" بأفكاره إلى تلك العصور الفارطة التي كانت في نظره تعد من العصور الزاهية و الأزمان الخصبة بأمثال هذين الرجلين، و أضرابهما من الأفذاذ.

وتمثلت الإشاريات الزمنية الدالة على المستقبل في قوله: "فأما الأستاذان الجليلان، - زاد الله ضياء الأيام ببقائهما- فلا يعدل بهما الأصفران"[3].

---

[1] - المصدر سابق ص 73 .

[2] - المصدر نفسه ص 75-76 .

[3] - المصدر نفسه ص 86 .

نلاحظ أن العنصر الزماني "الأيام" في هذا السياق تشير إلى البعدية، لأن المقصود من ذلك أن المعري دعا لهما بأن يزيد الله الأيام ببقائهما ضياء، وأن تبقى في المستقبل ما بقيا تنير الدروب. وأن تزيد الأنام بوجودهما رفعة و سناء.

فالأيام إذن تحيل غالبا على المستقبل، وهي تحمل دفعة إيجابية للكاتب.

ويشير "المعري" أيضا من خلال الرسالة إلى زمن مبهم من حيث الدلالة النحوية، ولكي يتعرف المتلقي على الحيز الزماني المقصود في الخطاب، عليه أن يستغل كل ما يفضي به في البنية ، وما يشير إليه ، ليتحقق له الفهم ، من ذلك قوله: "وإنَّمَا يُشْبَهَانِ بالحُرَّينِ اللَّذينِ هُمَا كَوكَبَانِ، يَرَاهُمَا المُدلِج ويتقارَبَانِ. كما قال القائل: **وَلَمَا بَدَا الحُرَّانِ – واللَّيْلُ دَامِسٌ -**

ذَكَرْتُ خَلِيطًا نَازِلًا بِأَبَانِ "[1].

فمرجع الأداة الإشارية الزمانية (الليل) هو لحظة التلفظ بها، مع أنه يصعب تحديد هذه اللحظة تحديدا دقيقا، أهي في بداية الليل أم في وسطه، أم في ثلثه الأخير فليل الشاعر دامس أي مظلم مشتدة ظلمته، ولكن تحولت كلمة (الليل) إلى الوصفية لتخصيص (الحران) وهذا بعدها التداولي، إلا أنه لما بدا الحران اللذان يشبهان في نورهما بكوكبين مضيئين انجلت ظلمته و تذكر أحبته وقومه لما رآهما .

وفي قوله: "حَرَسَهُمَا الله شَهْرَي رَبِيع، ومَا عَنَيتُ شَهْرَينِ، يُعْرَفَانِ في السَّنَةِ بِهِلَالَيْنِ ، ولكن أَرَدْتُ نَيسَانَ وأَخَاه، والحَقُّ يَضِحُ لِمَن وَخَاه، فإنهما رَبِيعَا عَامٍ يَجِيئَانِ البَشَرَ بالأَنْعَامِ..."[2]، فمن خلال هذا القول يتضح أن "المعري" لم يرد بشهري ربيع الشهران المعروفين بهلالهما، بل هما ربيعان يأتيان في كل عام هما شهري نيسان و أخاه يعرفان بخصبهما وجمالهما، فقد حدد وقتهما، وتشير هذه العناصر الزمانية

(1) - المصدر السابق ص92.
(2)- المصدر نفسه ص 92-93 .

في هذا السياق إلى البعدية، لأن المقصود من ذلك أن يبقيا ما بقي الدهر ربيعي ثمر و زهر .

كما يشير إلى الزمن بغير ملفوظاته المعروفة، وهو ما يجعل الدلالة الزمنية أكثر إبهاما، فيصبح المتلقي بحاجة إلى أن يعرف كل ما يتعلق بها، ومن ذلك قوله: "فمَعَاذَ الله أن يَعْنِيَ نَقِيضَيْ عَبْدَينِ، ولَا اللَّذَينِ ذَكَرَهُمَا الأَخْطَلُ بِسُكْرِ البَرْدَيْنِ..."[1].فالعنصر الإشاري الزماني هنا هو "البردين" ويعني بهما "الغداة والعشي " وهما الصرعان كما في قوله: "فمَن هَذا الرَجُلُ الصَالِحُ الذِي عَمِلَ خَيْرًا في الصَّرعَيْنِ"[2].

ونلاحظ أن العنصر الإشاري يشير إلى الديمومة، فهذا الرجل كان مداوما على عمل الخير .

وفي قوله: "وَلَيتَ ما يَسْقُطُ عَلَينَا مِنَ الأشْهَبَينِ، يَصِيرُ فِي الأَقْضِيَة من اللُجَينِ"[3].العنصر الإشاري الزماني في هذا القول هو "الأشهبين" وهما كما ذكر المحقق عامان أبيضان ما بينهما خضرة ، يجلبان على الناس لبياضهما الضيق والعسرة، وهما غير محددين متى يكونان بالضبط ، وبهذا يعبر المعري عن مدى قدرة ممدوحيه في تغيير الأوضاع .

فـ"المعري" إذا في هذه الرسالة استعمل الإشاريات الزمنية التي تدل على الماضي والمضارع ولكن أغلبها كانت تدل على زمن مبهم لم يعرف إلا من خلال السياق الذي ورد فيه، ذلك أن دلالة الزمن تتغير فهي تحمل في سياق ما معنى الدوام والاستمرار (دوام المجد و العظمة للأستاذ)، وتحمل في سياق آخر معنى الرجوع إلى الماضي وتذكر الزمن الذي انقضى واندثر ولم تبقى منه إلا الذكرى في الأذهان

---

(1)- المصدر السابق ص 88 .

(2) - المصدر نفسه ص 99 .

(3)- المصدر نفسه ص 105-106 .

أو التمثيل بها حتى تظهر للعيان. أو تحمل معنى تغير الأوضاع من السيئ إلى الحسن بفضل بركة الأستاذان وصلاحهما.

ج- الإشاريات المكانية :

وهي "عناصر تشير إلى أماكن يعتمد استعمالها وتفسيرها على معرفة مكان المتكلم و وقت التكلم، أو على مكان آخر معروف للمخاطب أو السامع، ويكون لتحديد المكان أثره في اختيار العناصر التي تشير إليه قربا أو بعدا أو وجهة. ويستحيل على الناطقين باللغة أن يستعملوا أو يفسروا كلمات مثل: هذا و ذاك ، هنا و هناك، ونحوها إلا إذا وقفوا على ما تشير إليه بالقياس إلى مركز الإشارة إلى المكان، فهي تعتمد على السياق المادي المباشر الذي قيلت فيه"[1]، فنجد أن الإشاريات المكانية تختص بتحديد المواقع بالانتساب إلى نقاط مرجعية في الحدث الكلامي، وتقاس أهمية التحديد المكاني بشكل عام انطلاقا من الحقيقة القائلة إن هناك طريقتين رئيستين للإشارة إلى الأشياء هما: إما بالتسمية أو الوصف من جهة أولى، وإما بتحديد أماكنها من جهة أخرى[2]؛ وحتى لا يخفق التواصل يجب على الكاتب أن يشير إلى مكان صريح معلوم، وينبغي على المتلقي أن يكون عارفا له، ومن شواهد ذلك في هذه الرسالة نذكر قول "المعري": "تَرَادَفُ إلى حَضْرَةِ الأُسْتَاذِ – طَالَ عُمْرُهُ في السَّعْدِ الطَّالِعِ مَا خَلَدَ رُكْنَا "مَتَالِع"-"[3]، فقد ذكر في هذا الخطاب "متالع" وهو جبل بالبادية في بلاد طيء، وقد أطلق هذا الاسم على أكثر من جبل في نواح مختلفة من الأرض ، وهو من خلال هذا القول لم يبق مجرد جبل فقط، بل أصبح رمزا من رموز الخلود، فقد تمنى "المعري" أن يكون الأستاذ كهذا الجبل في طول العمر. ويذكر كذلك جبلا يضرب به المثل في اجتماع

---

[1]- محمود أحمد نحلة : آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ص 21 .

[2] - عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب ص 84 .

[3]- أبو العلاء المعري: رسالة الهناء ص 71 .

الشمل في قوله: "والله يَجْعَلُهُمَا كَابْنَيْ شَمَّام أَبَدًا في اجْتِمَاعِ الشَّمْلِ"[1]، ويمثل شمام جبلا وله رأسان يسميان ابني شمام، فقد تمنى للممدوحين أن يكونا كابني شمام في اجتماع الشمل وأن لا يفترقا أبدا،ولما كان المقام مقام دعاء فقد اكتسب لفظا متالع وشمام دلالة أخرى إضافية موصولة بالزمان .

ويشير "المعري" إلى المكان الذي يتولاه الأستاذان الجليلان بقوله: "مَازَالَا – لِسَكَنِ هذه الرُبُوعِ- أنْفَع من الحَنْتَفَينِ، ويَشْرفانِ على كل مَيْنٍ "[2].

فالأستاذان اللذان مدحهما "المعري" في هذه الرسالة وهما: من بعث له برسالة التهنئة والذي كناه بـ"أبي فلان"، ومن قدِم إليه والذي كناه بالأستاذ "أبي علي"، وما نعلم من شأنهما أكثر مما أفضى به "أبو العلاء" في هذه الرسالة، فأدركنا أنهما كانا مشيرين للسلطان "شبل الدولة" وذلك في قوله: "إذا كَانَ السُلْطَانُ "شِبْلُ الدَّوْلَة" أَسَدَ النُجُومِ، كَانَا- لا مَحَالَة – ذِرَاعَيْهِ ، وإنْ أُغْلِقَ بَابُ الرَأفَة فَتَحَا مِصْرَاعَيْهِ"[3] ، والإشارة المكانية "الربوع" تدل هنا على المكان الذي تولاه هذان المشيران، فلم يحدد موضعه بالضبط: وبما ان الأستاذين مشيرين لدى شبل الدولة فالمكان المقصود هنا هو ولاية"شبل الدولة" والي المستنصر بالله على حلب .

ثم يضيف "المعري" في مدح الأستاذين قائلا: "وَيَشْرُفَانِ عَلى كُلِّ مَيْنٍ ، لَا كَشَرَفِ الزَّهْدَمَيْنِ، ولَعَلَهُمَا فِي بَنِي عبْسٍ، تَقَدَّمَا بالرّهَقِ والأَبْسِ"[4]، فهو يذكر المكان الذي قام فيه الزهدمان بالظلم وارتكاب الشرور وتحقير الناس وهو "عبس" ويذكر "المعري" أماكن أخرى بقوله: "لَيْتَ مَا تُنبِتُ بِلَادُنَا من الرِّيَاضِ وما اكْتَسَى به الشَّجَرُ المُثْمِرُ أو الغِيَاضُ ، يَصِيرُ كلُهُ من دِيبَاج، يَقْدَمُ بِهِ هذا السَّيِّدُ مِن حَضْرَةِ المَلِكِ ذي التَّاجِ، هَدِيَّةً للسُلْطانِ المُكَرَّمِ شِبْلِ الدَّوْلَة أعَزَّ اللهُ نَصْرَه يُفَرِقُهُ فِي أَفْنَاءِ

---

[1]- المصدر نفسه ص 88 .

[2]- المصدر السابق ص 93 .

[3]- المصدر نفسه ص 109-110-111 .

[4]- المصدر نفسه ص 93-94 .

سُبَيْعَةِ..."[1]، فقد ذكر في هذا القول: بلادنا، الغياض (وهي الأجمة أو مجتمع الشجر)، بالإضافة إلى "سبيعة" وهي قبيلة "بني سبيعة"، وهي قبيلة معروفة، والتي خصها المعري بالذكر، إما لأنها قبيلة فقيرة فتمنى لو أن الأستاذ يقدم من حضرة الملك ذي التاج، بمثل ألوان من الهدايا والديباج، ليتحف به أهل سبيعة، أو لأنه يعلم أن هذا الأستاذ يريد أن يكون واليا عليها وذلك من خلال قوله: "يفرقه في أفناء سبيعة، ويأخذ به على القوم البيعة "[2]، فيكون بذلك هذا المال الذي يفرقه عليهم بمثابة الرشوة ليأخذ البيعة وهو نوع من التهكم.

وتجدر الإشارة إلى أن "المعري" قد ذكر العديد من الأماكن العامة مثل:الرَاكِدَة، واليَبَسِ(*)،والسَّهْبِ(**)،اللِّصَابُ(***)،والحِرَجَةُ(****)،والسَّبَاسِبِ(*****)، الأَكَمَةُ أو التَل، وكذا السِّمَاكَيْنِ، وأخيرا المِرْزَمَيْنِ[3] .

وهي أماكن صريحة ومعلومة لدى الملتقي، فقد اهتم "المعري" بالمكان وحوّله من دلالته الجغرافية إلى دلالة شخصية، ولا يمكن فهمها والوعي بأهميتها إلا بالعودة إلى السياق الذي وردت فيه، والمتمثل في أهمية الممدوحين وما جرى على يديهما من أمور و معجزات فرضت نفسها في استعمال الدلالة السياقية للمكان، فقد حول الدلالة من موضوعية إلى معيارية إيجابية.

فالمعري إذا في رسالته هذه أشار إلى أماكن كثيرة كانت كلها معلومة لدى المرسل إليه، والإشارة عادة ما ترتبط بأهداف المتكلم وهو ما لمسناه عند المعري، فلم يذكر مكانا إلا وكان له هدف من وراء ذلك ففي ذكره مثلا لجبل

---

[1]- المصدر نفسه ص 104-105 .

[2]- المصدر السابق ص 105 .

(*) - اليبس: وهو طريق يبس لا ندوة فيه ولا بلل.

(**) - السَّهْبِ: أي الفلاة.

(***) - اللِّصَابُ: وهو الطريق الصغير في الجبل.

(****) - الحِرَجَةُ: أي الأماكن الضيقة.

(*****) - السَّبَاسِبِ: أي الأرض المستوية.

[3]- ينظر: المصدر نفسه ص 96-120 .

"متالع" إنما أراد بذلك أن يُقرن صفة الخلود به وتمنى أن يكون مراسله كهذا الجبل خالدا ما بقي الدهر، وفي ذكره لـ "الربوع" و "سبيعة" - كما سبق وأن أشرنا- أظهر ما قام به الأستاذ(المرسل إليه) من أعمال جليلة بلغت صداها الآفاق وغيرت مسار الحياة إلى الأحسن...وكل ذلك يبين المنزلة العظيمة للمرسل إليه وعلو شأنه وهو ما تبينه أيضا الإشاريات الاجتماعية المتضمنة في الرسالة.

د- الإشاريات الاجتماعية:

وهي ألفاظ و تراكيب تشير إلى العلاقة الاجتماعية بين المتكلمين والمخاطبين من حيث هي علاقة رسمية أو علاقة ألفة و مودة. والعلاقة الرسمية يدخل فيها صيغ التبجيل في مخاطبة من هم أكبر سنا و مقاما من المتكلم، كاستخدام "أنتم" للمفرد المخاطب، و"نحن" للمفرد المعظم لنفسه، وهي تشمل أيضا الألقاب مثل: فخامة الرئيس، جلالة الملك، سمو الأمير، كما تشمل أيضا: السيد، السيدة، الآنسة، ويدخل فيها أيضا: حضرتك وسيادتك، وسعادتك وجنابك... [1].

و"رسالة الهناء" غنية بهذه الإشاريات الاجتماعية، وخاصة الألقاب التي أطلقها المعري على مراسله و من جاء لزيارته، فلم يذكر اسميهما في كامل الرسالة، ولعله حذف الأسماء بعد أن تغير العهد السياسي ، فما كان أقصر عهود السلاطين والوزراء والولاة والأمراء في ذلك العصر المضطرب المملوء بالمخاطر، والأحداث والفتن والدسائس التي أثارها شياطين العصر من الحُكَّام[2] . ويتضح ذلك في الرسالة من خلال قوله : "هَنَاءٌ يُقْرَنُ بِه نُورٌ وسَنَاءٌ ... تَرَادَفُ

[1]- محمود أحمد نحلة : آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ص 25 .

[2] - ينظر : رسالة الهناء، تحقيق :كامل الكيلاني ص 05.

إلى حَضْرَةِ الأُسْتَاذِ"[1]. فهو يتوجه بالتهنئة إلى مراسله مخاطبا إياه بـ"حضرة الأستاذ"، وقد استعمل "المعري" هذا اللقب ليبين المكانة الاجتماعية التي يحظى بها لديه ولدى المجتمع ككل. ويقول أيضا: "بل تَهَانِئُ، يُرْغَمُ لَهُنَ الشَانِئُ،... بِقُدُومِ الأُسْتَاذِ حَلِيفِ الجَلَالَةِ "أبي علي" ، لا فَتِئَ - للزَمَنِ- أنْفَسَ حُلِيٍّ" [2] ، ففي هذا القول استعمل لقب الأستاذ حليف الجلالة "أبي علي" احتراما لمنزلة هذا الزائر وتقديرا له .

ويطلق "**المعري**" في مواضع أخرى من الرسالة أكثر من لقب على مراسله نذكر منها قوله: "وَمُهَاجَرَةُ الأُسْتَاذِ أبِي فُلَانٍ لَا بَرِحَ فِي يَدِ المَمْلَكَةِ بِه سِوَارٌ، وبَينَهُ وبينَ الأَمْلَاكِ القَائِمَةِ جِوَارٌ...والأُسْتَاذُ سَهِرَ لإيمَانِ السَّارِيَةِ منَ الآسَادِ"[3]. فقد كناه في هذا القول بالأستاذ "أبي فلان" ، ويلقبه بالسيد في قول آخر. وبالرجل الصالح في: "فمن هذا الرجل الصالح الذي عمل خيرا في الصرعين، ودأب في صلاح الشرعين"[4]. مُذَكرا بخصاله وأعماله الجليلة التي أهَّلته لأن يوصف بالرجل الصالح.

ويشيد كذلك بمخاطبه ومن قدم ضيفا عليه ، ويثني عليهما ويمدحهما مسبغا عليهما لقب "الأستاذان"، وهو اللقب الأكثر تداولا في المدونة كقوله: "فَأَمَا الأُسْتَاذَانِ الجَلِيلَانِ، زَادَ اللهُ ضِيَاءَ الأَيَّامِ بِبَقَائِهِمَا...وسَيِّدَانَا الأُسْتَاذَانِ أَذَلَ اللهُ مُعَانِدَهُمَا أُخْرَى المَنُونِ (إلى الأبَدِ)"[5].

---

[1] - المصدر نفسه ص 71 .

[2] - المصدر نفسه ص 71-72 .

[3] - المصدر السابق ص 94- 95.

[4] - المصدر نفسه ص 99.

[5] - المصدر نفسه ص 86 - 108 .

ومسألة تحديد نوع العلاقة الاجتماعية بين أطراف الخطاب مسألة نسبية إذ تختلف من موقف إلى آخر، ومن حيث قرب أو بعد الأطراف، سواء كان القرب أو البعد ماديا أو اجتماعيا أو نفسيا وتعد الإشاريات الاجتماعية من المجالات المشتركة بين التداولية وعلم اللغة الاجتماعي[1]، ولكن يبقى المرسل هو الذي يحدد نوع الإشارة التي يستعملها في خطابه، وحتى يحدث المعري ترابطا في رسالته استعمل الإشاريات الخطابية.

هـ- الإشاريات الخطابية:

هناك إشاريات للخطاب تعد من خواص الخطاب، وتتمثل في العبارات التي تذكر في النص مشيرة إلى موقف خاص بالمتكلم قد يتحير في ترجيح رأي على رأي أو الوصول إلى مقطع اليقين في مناقشة أمر فيقول:" ومهما يكن من أمر "، وقد يحتاج أن يستدرك على كلام سابق أو يضرب عنه فيستخدم "لكن" أو "بل" ، وقد يعن له أن يضيف إلى ما قال شيئا آخر فيقول : "فضلا عن ذلك" ، وقد يعمد إلى تضعيف رأي فيذكره بصيغة التعريض "قيل"، وقد يريد أن يرتب أمرا على آخر فيقول: "من ثم ...إلخ"[2]. ويمكن أن تستعار إشاريات الزمان، وإشاريات المكان لتستخدم إشاريات للخطاب فكما يقال: "الأسبوع الماضي". يمكن أن يقال: "الفصل الماضي من الكتاب"، أو "الرأي السابق"، وقد يقال: "هذا النص للإشارة إلى نص قريب ، أو تلك القصة إشارة إلى قصة بعد بها القول"[3] .

وفي "رسالة الهناء" ما يشير إلى هذه الإشاريات الخطابية، ففي استعمال لكن الاستدراكية يقول المعري: "فَأمَا الأسْتَاذَانِ الجَلِيلَانِ ...فلَا يُعْدَلُ بِهِمَا الأَصْفَرَانِ، إِذَا تُرْجِمَ عَنْهُمَا بِالذَّهَبِ وَالزَّعْفَرَان ، وإِنْ كَانَ أَحَدُهُمَا طِيبًا

(1)- ينظر: محمود أحمد نحلة : آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ص 26 .

(2)- محمود أحمد نحلة : آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ص 24 – 25 .

(3) - المرجع نفسه ص 24.

يُنْشَقُ والآخَرُ مَالًا يُدَّخَرُ وَيُنْفَقُ. ولَكِنَّهُمَا فِي الهِدَايَةِ مِثْلُ القَمَرَيْنِ... "[1].

فبعد أن وصفهما بأنهما لا يعدل بهما الأصفران، ولا يساويهما في القيمة والنفع الذهب و الزعفران، فهما أثمن قيمة و أغلى، و أرفع درجة و أعلى، استدرك ذلك بقوله إنهما في الهداية مثل القمرين.

وفي موقف آخر له يذكر:" وما عَنَيْتُ شَهْرَيْن، يُعْرَفَانِ في السَّنَةِ بِهِلَالَيْنِ ولكن أَرَدْتُ نَيسَانَ وأَخَاهُ ، والحَقُّ يَضِحُ لمَن وَخَاهُ"[2].

فهو في هذا المقام ينبه المعري على أنه عند وصف الأستاذين بشهري ربيع عنى شهرين يقعان بعد صفر، بل أراد شهر نيسان و أخاه (أيّار) فهذا ما كان يرمي إليه ويقصده. فقد استدرك إذن ذلك ووضح ما ذهب إليه وعناه.

وغيرها من الإشاريات الخطابية التي تجلت في المدونة، والتي بينت مقاصد الكاتب وغاياته، ولا يمكن أن تتضح مقاصد المرسل وغاياته من خلال الإشاريات إلا إذا توفرت المعرفة المشتركة بينهما والتي لها دورا أساسيا في دراسة الافتراض المسبق.

[1]- أبو العلاء المعري: رسالة الهناء ص 86 .

[2] - المصدر نفسه ص 92 – 93 .

2- الافتراض المسبق:

عند كل عملية من عمليات التبليغ، ينطلق الأطراف المتخاطبون من معطيات وافتراضات معترف بها ومتفق عليها بينهم، وهذه الافتراضات المسبقة لا يصرح بها المتكلمون، وهي تشكل خلفية التبليغ الضرورية لنجاح العملية التواصلية، وهي محتواة ضمن السياقات والبنى التركيبية العامة. ففي الملفوظات مثلا: "أغلق النافذة" وفي الملفوظ "لا تغلق النافذة" تظل خلفية "افتراض مسبق" مضمونها أن "النافذة مفتوحة"[1].

وقد كانت دراسة الافتراض السابق مثار اهتمام الباحثين منذ أوائل العقد السابع من القرن العشرين، لما سببه من مشكلات حقيقية لكل النظريات التحويلية، فضلا على أنها شغلت جانبا أساسيا من اهتمام علماء الدلالة، ثم برزت إلى موقع الصدارة من اهتمام الباحثين في أوائل العقد الثامن حيث أصبحت الوجهة التداولية في دراسة المعنى بديلا لا غنى عنه للوجهة الدلالية في هذا الجانب [2].

ويميز التداوليون بين الاستعمال العام للفظ الافتراض المسبق في لغة الحياة اليومية، والاستعمال الاصطلاحي في الدرس التداولي الذي هو أضيق مدى من الاستعمال العام. فمن الاستعمال العام أن يقال: "كتب زيد رسالة إلى عمرو" فيفترض السامع سلفا أن عمرا يقرأ أو يقال: " إما أن يكافأ زيد أو تكافأ زوجته "

---

[1] - ينظر: الجيلالي دلاش: مدخل إلى اللسانيات التداولية ص 34، و مسعود صحراوي : التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي ص 42 – 43 .

[2]- محمود أحمد نحلة : آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ص 27 .

فيفترض السامع سلفا أن لزيد زوجة، وأما الاستعمال الاصطلاحي فهو مقيد باستدلالات تداولية بعينها تحملها تعبيرات لغوية معينة، ويمكن الوصول إليه ببعض الاختبارات اللغوية [1].

كما ميّز التداوليون بين نوعين من الافتراضات المسبقة: الافتراضات المسبقة الدلالية والمنطقية، والافتراضات المسبقة التداولية، فالأول مشروط بالصدق بين قضيتين، فإذا كانت (أ) صادقة كان من اللازم أن تكون (ب) صادقة، فإذا قلنا مثلا: (إن المرأة التي تزوجها زيد كانت أرملة)، وكان هذا القول صادقا ؛أي مطابقا للواقع، لزم أن يكون القول : (زيد تزوج أرملة) صادقا أيضا، إذ أنه مفترض سلفا، وأما الافتراض التداولي السابق فلا دخل له بالصدق والكذب، فالقضية الأساسية يمكن أن تنفى دون أن يؤثر ذلك في الافتراض المسبق، فإذا قلت مثلا (سيارتي جديدة) ثم قلت (سيارتي ليست جديدة) فعلى الرغم من التناقض في القولين فإن الافتراض المسبق، وهو أن لك سيارة لا يزال قائما في الحالين[2].

والافتراض المسبق كفعل إنجازي له أهمية قصوى في عملية التواصل والإبلاغ فنجاحهما مرتبط بوجود خلفية مشتركة بين الافتراضات المسبقة، في حين أن ضعف أساس أو افتقار الافتراضات المسبقة الضرورية لنجاح عملية التبليغ يؤدي إلى سوء التفاهم، وفيما يلي سنعرض أهم نماذج الافتراضات المسبقة التي وردت في "رسالة الهناء"، يقول "المعري": "وَاجْتَمَعَتْ إِلَيْهِ أَصْنَافُ الوَحْشِ مُهَنِّئَاتٍ خُشَّعًا - مِنَ الهَيْبَةِ – مُتَجَنِّئَاتٍ[*] "[3]. ففي هذا القول نجد ألفاظ : "خشعا" ، "الهيبة"، "متجنئات" التي تدل على الإذعان و الخضوع والرهبة، ولهذا يمكن افتراض أن من اجتمعوا إليه (أي الأسد) ذو هيبة ووقار ، فهو ملك عليهم بدليل

---

[1]- المرجع نفسه ص 27 – 28 .

[2]- المرجع السابق ص 28 – 29 .و الجيلالي دلاش: مدخل إلى اللسانيات التداولية ص 34 – 35 .

[*] - متجنئات: منحنيات، مكبات.

[3]- أبو العلاء المعري:رسالة الهناء ص 77 .

قوله : متجنئات - منحنيات مكبات- وهذا لا يكون إلا للملوك، فما كان من الوحوش عند دخولهم على ملكهم (الأسد) إلا الانحناء والانعطاف، وقد كادت تنخلع من الرهبة قلوبهم .

وقوله: "مَازَالَا – لسَكَنِ هذه الرُبُوعِ – أَنْفَعَ منَ الحَنْتَفَينِ، ويَشْرُفَانِ على كُلِّ مَيْنٍ، لا كَشَرَفِ الزَّهْدَمَيْنِ"[1]. ففي هذا القول تدل لفظة "مازالا" على شيء سابق في كلامه، فهي تشير إلى الأستاذين الجليلين كانا في السابق لساكني هذه الديار أنفع من الحنتفين، فقد قاما بنفع العباد وعز البلاد، وقد فاقا بذلك الحنتفين، ومازالا كذلك .

فقد دعا لهما **"المعري"** أن لا يبرحا ذلك و أن يعلوا على كلّ كذب و مين، ويشرفا شرفا لا يمينُ فيه صاحبه و لا ينبني على الرهق و الأبس - أي الظلم و التصغير - كما كان شرف الزهدمين .

ويقول **"المعري"** أيضا عند مدحه للأستاذ "أبي فلان": "وَ لَو جَازَ أَن تَنشَقَ الطَامِيَةُ لِغَيرِ الكَلِيمِ، لَا نْفَرَقَ لُجُّهَا لَه غير مُلِيمِ" [2]. فجملة: " تنشق الطامية لغير الكليم " تحيلنا إلى حادثة سابقة، وهي انشقاق البحر لموسى عليه السلام (قصة موسى الكليم مع فرعون)، و انفراق الماء فكان كل فرق كالطود العظيم ، ولهذا يمكن أن يتضمن هذا القول افتراضا يتمثل في أن مكانة هذا السيد كبيرة لدرجة أنها يمكن أن تماثل مكانة موسى فتنشق لها البحار دون أن تأتي بما يستحق عليه اللوم .

ومن نماذج الافتراض نجد قول **"المعري"** في "حديث الحيتان" التي هالَها أمر انشقاق البحر فتساءلت متعجبة: "فَمَن هَذا الرَجُلُ الصَالِحُ الذِي عَمِلَ خَيْرًا

(1) - المصدر السابق ص 94.

(2) - المصدر نفسه ص 96 -97 .

في الصَّرْعَينِ ودَأَبَ في صَلَاحِ الشَّرْعَيْنِ"[1]. فمن خلال هذه الجملة التي هي عبارة عن تساؤل من طرف الحيتان عن أمر هذا الرجل الذي كان مستديما على عمل الخير في الصرعين (أي في الغداة والعشي) الدائب ذات البين، فهذا يشير إلى افتراض مسبق مفاده أن الحيتان لم تكن تعلم من يكون هذا الرجل الذي جزاه الله كل هذا الجزاء .

فمن خلال هذه النماذج التي حاولنا قدر الإمكان تحليلها واستخراج الافتراضات التي تضمنتها البنى التركيبية لـ"رسالة الهناء" نلاحظ أن الافتراضات المسبقة لها دور فعال في عملية ترابط الخطاب واتساقه، هذا الخطاب الذي يضمنه المرسل دلالات تبقى خفية وغير مصرح بها، مما يجعل المرسل إليه يحاول الكشف عن المعنى المتضمن في القول عن طريق عمليات استنتاجية تتحكم فيها معطيات السياق إضافة إلى المنطق والتجربة وهذا ما يسمى بالاستلزام الحواري.

[1]- المصدر نفسه ص 97 – 99 .

3- الاستلزام الحواري:

يعد الاستلزام الحواري واحدا من أهم الجوانب في الدرس التداولي، ترجع نشأة البحث فيه إلى الفيلسوف **"جرايس Grice"**، من خلال محاضراته التي كان يلقيها في جامعة "هارفارد" سنة 1967، منطلقا من مبدأ أن الناس في حواراتهم قد يقولون ما يقصدون، وقد يقصدون أكثر مما يقولون، وقد يقصدون عكس ما يقولون، فجعل كل همه إيضاح الاختلاف بين ما يقال وما يقصد، فما يقال هو ما تعنيه الكلمات و العبارات بقيمتها اللفظية، وما يقصد هو ما يريد المتكلم أن يبلغه السامع على نحو غير مباشر اعتمادا على أن السامع قادر على أن يصل إلى مراد المتكلم بما يتاح له من أعراف الاستعمال ووسائل الاستدلال[1]. ويتضح ذلك من خلال الحوار الآتي :

أ- هل الطالب ج مستعد لمتابعة دراسته الجامعية في قسم الفلسفة ؟

ب- إذن الطالب ج لاعب كرة ممتاز.

لاحظ الفيلسوف **"جرايس"** أن الحمولة الدلالية لإجابة (ب) تدل على معنيين اثنين في نفس الوقت، أحدهما حرفي والآخر مستلزم. معناها الحرفي أن الطالب ج من لاعبي الكرة الممتازين، ومعناها الاستلزامي أنه ليس مستعدا لمتابعة دراسته في قسم الفلسفة[2]. ويفترض (جرايس) أن المتخاطبين المساهمين في محادثة

(1) - محمود أحمد نحلة : آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ص 32- 33 .

(2) - مسعود صحراوي : التداولية عند العلماء العرب ص 45.

مشتركة يحترمون "مبدأ التعاون"، فالمشاركون يتوقعون أن يساهم كل واحد منهم في المحادثة بكيفية عقلانية ومتعاونة لتيسير تأويل أقواله. وينبني "مبدأ التعاون"

على أربع قواعد أساسية تتمثل في :

1- قاعدة الكم :التي تفرض أن تتضمن مساهمة المتكلم حدا من المعلومات يعادل ماهو ضروري في المقام ولا يزيد عليه.

2- قاعدة الكيف : التي تفترض نزاهة القائل الذي ينبغي ألا يكذب، وأن يملك الحجج الكافية لإثبات ما يثبته.

3- قاعدة العلاقة (المناسبة): تفرض أن يكون حديثنا داخل الموضوع ذا علاقة بأقوال القائل السابقة وأقوال الآخرين.

4- قاعدة الصيغة (الطريقة): التي تعني أن نعبر بوضوح وبلا لبس قدر الإمكان، ونقدم المعلومات بترتيب مفهوم.

وبهذه القواعد يتم التعاون بين المخاطب والمتلقي لإنتاج حوار مثمر، وإذا لم تتوفر كمية المعلومات التي يتطلبها مقتضى الحال، وتم خرق إحدى القواعد الأربع السابقة فإنها تحصل ظاهرة الاستلزام الحواري[1].

وتضعنا نظرية **"غرايس"** أمام أمرين اثنين: إما أن نتبع القواعد المتفرعة على مبدأ التعاون، وإما أن نحيد ونخرج عنها، فإن اتبعناها حصلنا على فائدة قريبة، وإن خرجنا عن هذه القواعد حصلنا على فائدة بعيدة[2].

---

[1]- ينظر: آن روبول، جاك موشلار: التداولية اليوم علم جديد في التواصل ص 55-56 . و الجيلالي دلاش : مدخل إلى اللسانيات التداولية ص 33 .

[2]- طه عبد الرحمن: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي ص 239 .

ونمثل فيما يلي بأمثلة موضحة لكيفية خرق تلك القواعد:

1- خروج أو خرق لقاعدة الكم: إذا سئل معلم عن رأيه في أحد طلابه في مادة اللغة الفرنسية التي يدرسها واكتفى بالجواب: "إن التلميذ لا يتهاون في متابعة الدروس وهو يتقن اللغة العربية جيدا"، فهو بذلك يكون قد أخل بقاعدة الكم على اعتبار أنه لم يقدم المعلومات اللازمة، ولا يمكن إرجاع الإخلال إلى قصور في معرفة المعلم، فالمفترض أنه تجنب التصريح بالإفادة المطلوبة خوفا من الإحراج، لأنه يعتقد بأن التلميذ فاشل في اللغة الفرنسية.

فلا شك أنه كان بإمكان المعلم أن يمتنع عن الإجابة، لكن بمجرد أنه فعل ذلك فقد أظهر حسن نيته في التعاون، إذن بالتحديد أراد المعلم أن يبلغ قصده المخاطب بشكل غير صريح موظفا طريقة بيانية تعرف باسم التعريض أو التلويح [1].

2- خرق قاعدة الكيف: في حوار بين تلميذ (أ) وأستاذ (ب) :

(أ) - طهران في تركيا، أليس هذا صحيحا يا أستاذ؟

(ب)- طبعا، ولندن في أمريكا.

في هذا الحوار انتهك الأستاذ مبدأ الكيف الذي يقتضي ألا يقول إلا ما يعتقد صوابه، وألا يقول ما لا دليل عليه. وقد انتهكه الأستاذ عمدا ليظهر للتلميذ أن إجابته غير صحيحة، ويؤنبه على جهله بشيء كهذا، والتلميذ قادر على الوصول إلى مراد الأستاذ لأنه يعلم أن لندن ليست في أمريكا، وذلك يستلزم أن الأستاذ يقصد بقوله شيئا غير ما تقوله كلماته، وهو أن قول التلميذ غير صحيح [2].

3- الإخلال بقاعدة المناسبة (الملائمة): التي تفيد أن يناسب المقام المقال.

يسأل (أ): ألا تعتقد أن فلانة عجوز شريرة ؟ يجيب (ب)- بنوع من الاضطراب -: الطقس جميل اليوم أليس كذلك ؟

---

[1]- العياشي أدراوي: الاستلزام الحواري في التداول اللساني ص 114 .

[2]- محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ص 36-37 .

- يمكن تفسير الجواب أعلاه إما أنه إنكار لاقتراح (أ) وتلميح له على أنه ارتكب زلة لسان، وإما أنه يثير اهتمام (أ) مثلا إلى وجود أحد أقارب "فلانة" بالقرب منهما[1].

4- خروج أو خرق لقاعدة الصيغة: يترجمها المثال الآتي:

(أ)- ماذا تريد ؟

(ب)- قم واتجه إلى الباب، وضع المفتاح في القفل، ثم أدره ناحية اليسار ثلاث مرات، ثم ادفع الباب برفق.

كان بإمكان (ب) أن يكتفي فقط بقوله: افتح الباب .

كلام (ب) يمتاز بالبطء، في حين كان عليه أن يكون موجزا، وهو ما نتج عنه خرق لقاعدة الصيغة [2].

وللاستلزام الحواري عند "غرايس" خواص تميزه عن غيره تتمثل في :

1- الاستلزام يمكن إلغاؤه: ويكون ذلك عادة بإضافة قول يسد الطريق أمام الاستلزام أو يحول دونه، فإذا قالت قارئة لكتاب مثلا: لم أقرأ كل كتبك فقد يستلزم ذلك عنده أنها قرأت بعضها، فإذا أعقبت كلامها بقولها، الحق أني لم أقرأ أي كتاب منها، فقد ألغت الاستلزام. و إمكان الإلغاء هذا هو أهم اختلاف بين المعنى الصريح والمعنى الضمني، وهو الذي يمّكن المتكلم من أن ينكر ما يستلزمه كلامه [3].

2- الاستلزام لا يقبل الانفصال: لا يكون قابلا للانفصال إذا كان قائما على معنى العبارة لا على شكلها، و إذا تعذر إذا فصل الاستلزام الخطابي عن القول بمجرد

---

[1] - العياشي أدراوي: الاستلزام الحواري في التداول اللساني ص 115 .

[2]- محمود أحمد نحلة : آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ص 37.

[3]- المرجع نفسه ص 38 .

تعويض العبارة بأحد مرادفاتها[1]. ويتضح ذلك من خلال الحوار بين أختين المتمثل في:

(أ)- لا أريدك أن تتسللي إلى غرفتي على هذا النحو.

(ب)- أنا لا أتسلل، ولكن أمشي على أطراف أصابعي خشية أن أحدث ضوضاء.

فعلى الرغم من تغيير الصيغة في قول (ب) فإن ما يستلزمه القول من عدم الرضا عن هذا السلوك لا يزال قائما[2].

3- الاستلزام متغير: فيمكن لتعبير واحد أن يؤدي إلى استلزامات مختلفة في سياقات مختلفة، فإذا سألت طفلا يحتفل بعيد ميلاده مثلا: كم عمرك ؟ فهو طلب للعلم، وإذا سألت السؤال نفسه لصبي عمره خمسة عشر عاما فقد يستلزم السؤال مؤاخذته له على نوع من السلوك لا ترضاه له.

4- الاستلزام يمكن تقديره: والمراد به أن المخاطب يقوم بخطوات محسوبة يتجه بها خطوة خطوة إلى الوصول إلى ما يستلزمه الكلام، فإذا قال المتكلم: "امرأة حديدية"، فهم السامع أن المتكلم يريد أن يخلع على المرأة بعض صفات الحديد كالصلابة، والمتانة وقوة التحمل، وهذا ما يستلزمه القول [3].

وهذه العملية الاستدلالية من أجل الوصول إلى المعنى المطلوب من الأمور التي تركز عليها التداولية .

ونستشف من خلال قراءة الرسالة "خروج الملفوظ عن معناه الحقيقي إلى عدّة معاني استنتاجية ذهنية يجتهد المتلقي في التعرف عليها، معاني ذات طبيعة غير مستقرة توافق الحالة التي يصدر عنها، كما تؤدي بالمخاطب إلى التخفي وراء

---

(1) - جاك موشلار ، آن روبول: القاموس الموسوعي للتداولية ج1 ص 271 .

(2)- محمود أحمد نحلة : آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ص 38- 39 .

(3)- المرجع نفسه ص 39 - 40 .

المعنى الجانبي Le sens littéral حتى لا يكون مسؤولا فيما يعتقده المستمع متسببا في ضرر لنفسه " [1].

فقد حملت الرسالة في طياتها مضامين ألزمت قارئها على محاولة الوصول إلى كنهها وتفسير الاستلزامات الحوارية التي ترمي إليها .

و"**المعري**" في خطابه هذا الذي وجهه إلى أحد معاصريه – الذي كناه بالأستاذ "أبي فلان"- والذي ضرب فيه أمثلة على ألسنة الحيوانات كان يرمي من ورائها إلى إيصال ما يقصده، وفيما يلي نذكر حديثه عن الأسد حيث يقول: "كَمثلِ الأسَدِ لمَا ظَفرَ بفرسٍ لبَعضِ المُلُوكِ لم تسمُ إلى رُكُوبِهِ نفسُ الصُعلوكِ... واجْتمَعتْ إليه أصْنافُ الوَحْشِ مُهنِئَات، خُشَّعًا من الهَيبَة مُتَجَنِئاتٍ. فقائلٌ لا يَخرُجُ عن الإيجَازِ، وصامتٌ لا يَجْتَرِئُ على المَجَازِ"، ولا نسعى من خلال هذا القول إلى معرفة "ماذا يقول المتحدث، ولكن لماذا يقول ما يقوله في سياق معين؟" [2]. لأن ما يقوله ظاهر في قصته، ولكن هناك دلالات غير مباشرة تظهر فيها، ويتبين من خلال هذا أن "المعري" لا يحكي عن الأسد وإنما عن ملك، أو شخص له سلطة ونفوذ ظفر بغنيمة مما جعل كل من يهابونه، أو من يطمعون في أن ينالوا شيئا مما مني به يأتون ليهنئوه، وهم في حالة من الخوف، والهيبة جعلتهم لا يستطيعون الكلام.

ثم يشير المعري إلى أن :"فِرْنِبٌ كانَ بالأجَمَةِ ..." قالَ: "بُورِكَ للمَلِكِ في العَطِيَّة السَّنِيَّةِ، وما بَلَغَ من الأُمْنِيَةِ "، فنَظَرَ الأسَدُ نَظَرَ مُغْضَبٍ...إلى سَرحَانٍ حَضَرٍ أو نَمْرٍ فعَرَفَ أَنَّهُ ما رَضِيَ بذلكَ الأَمْرِ، فأَوحَى بالعَجَلِ إلى هِرٍّ في البَرِّ أن يَنْزِلَ بالبِرِّ النَاطِقِ مَا سَنَحَ من الشَّرِّ"[3]. فهو بذلك يشعره بأنه أقل منزلة منه، و أنه ما كان له أن يتكلم في حضرته، فما كان منه إلا أن ينزل به أشد العقاب جزاء

[1]- ذهبية حمو الحاج : لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب ص 123- 124.

[2]- ذهبية حمو الحاج : لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب ص 124.

[3]- أبو العلاء المعري : رسالة الهناء ص 78 – 79 .

له على فعلته، وتعبيرا عن عدم الرضا لهذا السلوك الذي بدر منه، فقد خرق بهذا مبدءا من مبادئ التعاون وهو "مبدأ الملاءمة"، ثم يتبع "المعري" هذا المثال بمثال آخر لعظيم من جوارح الطير رجع مرة ومعه إحدى الفور (الظباء) فصمتت لهيبته ذوات الأجنحة غير العصفور الذي تجرأ وخاطبه خطاب الصعلوك، وبدأ خطابه بالدعاء متضمنا آيات المدح والثناء، فقاطعه الجارح في أول كلامه، وعمد إلى تجريحه وإيلامه منكرا عليه كلامه، ومعتبرا إياه تطاولا. فمن غير الملائم أن يتكلم في حضرته وهو الجبار ذو الوقار.

فبعد أن ضرب المعري لمنزلته الوضيعة، مع منزلة مخاطبه السامية والرفيعة مثلين : مثل الفأر مع الأسد، ومثل العصفور مع الجارح العظيم من جوارح الطير، وبين تباعد منزلته ومنزلة مخاطبه بهاتين الصورتين المتقابلتين، وبعد أن صورهما وأبدع في عرضهما عرضا حسنا بديعا، وأراد أن ينكر ذاته، وأن يبين منزلته، وأنه لا يساوي مخاطبه في المرتبة وأن أقرانه إنما هم من "حَمَلَةِ العِصِي يَجلِسُونَ بالمَكانِ القَصِيِ"[1].يستعينون بتلك العصي على الحركة والمشي، فهم عجزة ضعفاء لا يستطيعون الحراك يجلسون في أماكن معزولة تناسب ضعفهم ، ولا يدانون الشرفاء وأصحاب الرياسات، فهو إنما شبه نفسه بهذا الصنف من الناس وجعلهم يماثلونه. .

ونستلزم من خلال كل ما سبق أنه لم يكن من الأمر الهين أن يتواصل الرعية في ذلك الوقت مع من هم أعلى شأنا منهم، من ملوك ووزراء أو حتى من الكبراء، وقد ضرب المعري هذه الأمثلة ليبين لمخاطَبه أنه ليس جديرا به أن يتجرأ على مراسلته وهذا يستلزم أن من بعث إليه المعري برسالته هذه إنما يُعد من الكبراء وممن يملكون النفوذ والسلطة كما أنه بذلك يثني عليه ويمدحه، ويجعله في مرتبة الملوك بل تعداها إلى مرتبة الأصفياء ويظهر ذلك من خلال قوله:"ولَو

[1]- المصدر السابق ص82-83 .

جَازَ أنْ تَنشَقَ الطَّامِيَةُ لغيرِ الكلِيمِ، لَا نْفَرَقَ لُجُّهَا لَه غَيْرَ مُلِيمٍ، وغِيضَ المَاءُ وقُضِيَ الأمْرُ واسْتَوتْ على الجُودِي وقِيلَ بُعْدًا للقَوْمِ الظَّالِمِينَ"[1]، فنظرا لما قام به مخاطبه من أعمال صالحة، ومساعي موفقة استحق أن يكرمه الله بما أكرم به أولياؤه ورسله، فلو جاز أن تنشق البحار لغير موسى الكليم لا نفصل ماؤها دون لوم أو عتاب لهذا الرجل الصالح.

كما يرى المعري أنه: "لَا يَمتَنعُ في القُدْرةِ أن يَعذُب لبَرَكَتِهِ الماءُ الأُجَاجُ، فيعُودَ كأنه من النَّحلِ مُجَاجٌ، أو تَسِيرَ السَّفينَةُ على اليَبَسِ ، تُضِيئ كإضَاءَة القَبَسِ... أو تَحمِلُهَا الرِّيحُ الهَابَّة كَحَملِهَا عَرْشَ المُؤمِنَة بَلْقِيس...وتَظَلُ سَوَاكِنُ اليَمِّ الزَاخِرِ بيُمْنِه رَاتِعَاتٍ، بالسَّلَامَة من الشَّجْبِ متَمَتِعاَتٍ، تَجُولُ في مِثْلِ السَّهْبِ الأَرْحَبِ، كخيطِ النَّعَام المُخَوِّدَة والرَبرَبِ...ويَجُوزُ أن يُنطِقَ اللهُ الأوَّلُ جِبالَ الرُّومِ، فتقولَ عندَ الرُشدِ المَرُومِ، لَيتَ ما تُنْبتُ بِلادُنَا من الرِّياضِ وما اكْتَسَى به الشَّجَرُ المُثمِرُ أو الغِيَاضُ، يصيرُ كلُّهُ مِن دِيبَاجٍ يَقْدَمُ به هذا السَّيِّدُ من حَضْرَةِ المَلكِ ذي التَّاجِ هَدِيَّةً للسُلطَانِ شِبلِ الدَولةِ (*) ...يُفرِّقُهُ في أفْنَاءِ سُبَيْعَة ..." [2]. فإذن ببركة هذا الرجل الصالح لا تمتنع في القدرة أن يعذب الماء المالح ويصبح كأنه عسل من نحل، أو تسير السفينة على اليبس أو تطير في الهواء، ويجوز أن تحملها الريح الهابة كما حمل عرش الملكة بلقيس - إذ مثلت السفينة في قصة "بلقيس" بالعرش - ولا يمتنع مع نضوب الماء أن تظل سواكن البحر من أسماك وحيتان سالمة من الهلاك وإن كانت تعيش

---

[1]-المصدر نفسه ص96-97.

(*)- شبل الدولة:هو نصر بن صابن مرداس وكنيته:"أبو كامل"وقد نجا بعد أن قتل أبوه في سنة 420 هـ ثم ملك حلب "وبقى بها إلى سنة 429 هـ"، وقد أشار إليه المعري كذلك في رسالة الغفران وفي رسائل أخرى .

[2]- المصدر السابق : ص 99 – 105 .

من غير الماء متمتعة بالحياة تجول في الفلاة مسرعة في السير كجماعة من النعام المسرعة في السير أو قطيع من بقر الوحش [1].

ومن خلال ما سبق نخلص إلى أن المعري قد انتهك مبدءا تعاونيا هاما، وهو"مبدأ الصيغة"، فقد كان بإمكانه أن يكتفي بقوله فقط أن هذا الأستاذ بما قام به من خير كثير سيجازيه الله خير الجزاء فكان عليه أن يكون واضحا، وأن يقول ما يصبو إليه مباشرة، ولكنه غالى في مدحه لدرجة أن تمت على يدي الأستاذ تلك المعجزات، وتحققت بيمنه وبركاته هذه المستحيلات، ويستلزم ذلك أن "المعري " قد مدح الأستاذ وبالغ في الثناء عليه، وهو ما يعرف عنه من إفراط في المجاملة والثناء و الإسراف في المصانعة، والغلو في التودد، وذلك ربما للتقرب من ممدوحه أو اتقاء لما يخشاه من أذيته.

ونصل مما تقدم إلى أن الجمل لا تتحدد بظاهر دلالاتها دائما، إذ يمكن أن تؤول بالاشتراك مع عدد من المعطيات الداخلة في الخطاب، وكذا المؤطرة لإنتاجه، وتجدر الإشارة إلى أن "للجملة وظيفتين دلاليتين: وظيفة أصلية قارّة في القواعد المضبوطة، ووظيفة متغيرة تبعا لتغير ظروف الاستعمال، وهي وظيفة لا يمكن أن تقنن إلا حسب الظرف الاستعمالي للمتكلم والمستمع (والمقام) "[2].

فالمعري عرف دائما بأسلوبه المتفرد وتراكيبه المميزة وكذا ألفاظه التي تجعل القارئ يعمل فكره محاولا أن يصل إلى ما يصبو إليه من معانٍ.

[1] - أبو العلاء المعري : رسالة الهناء ص 63 – 64 - 65.

[2]- العياشي أدراوي: الاستلزام الحواري في التداول اللساني ص 18 .

4- الأفعال الكلامية:

تعتبر نظرية أفعال الكلام من أهم المجالات في الدرس التداولي، والنواة المركزية له، وقد نشأت في مناخ فكري تميز بإعراضه عن المفاهيم الميتافيزيقية، واهتمامه باللغة دراسة وفهما وتوضيحا، ويرجع الفضل في ظهور هذه النظرية إلى الوجود إلى الفيلسوف **"ج.ل أوستين"**[1]، فاللغة حسب رأيه ليست مجرد وسيلة للوصف ونقل الخبر، بل أداة لبناء العالم والتأثير فيه، وقد بسّط هذا القول في جملة من المحاضرات والمقالات تحت عنوان: "كيف ننجز الأشياء بالكلمات"، هذا الكتاب الذي لم يظهر إلا بعد وفاته[2]. فاعتبر الكلام ينقسم إلى قسمين:

1- قسما تقريريا(Constatif)، مجاله الخبر الذي يحتمل قيمتي: الصدق والكذب.

2- قسما إنشائيا(Performatif)، ينجز به المتكلم عملا، ولا يقتصر على مجرد الكلام به، ومن أشراط نجاحه توافر عناصر الإرادة والقصد والقدرة وحسن النية، ونحوهن من مقتضيات المقام التي تتناسب مع الافعال الكلامية المنجزة. وقد لاحظ "أوستين" مدى صلة الأخبار بالسياق الذي ترد فيه، كما هو

(1)- ينظر محمود أحمد نحلة:آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 41،و مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب ص 35-54، وباتريك شارودو- دومينيك مانغونو: معجم تحليل الخطاب ص 20.

(2) - العياشي الدراوي: الاستلزام الحواري في التداول اللساني من الوعي بالخصوصيات النوعية للظاهرة إلى وضع القوانين الضابطة لها، دار الأمان، الرباط-المغرب،ط1 ،1432ه-2011، ص77.

الحال في الإنشاءات، مما استحال معه التمييز بينهما فما لبث أن تخلى عن ذلك واعتبر أن الوحدات الكلامية الإنشائية، مختزلا إياهما ضمن نظرية شاملة للأفعال الكلامية [1].

ثم ارتأى **"أوستين"** بعد ذلك أن يقسم الأقوال الإنشائية إلى إنشائيات أولية وإنشائيات صريحة، إذ يمكن إنجاز عمل الوعد بطريقتين مختلفتين فمثلا قول: "سأكون هنا على الساعة الثانية" "يعد إنشاء أوليا"، أما قول: "أعدك بأنني سأكون هنا على الساعة الثانية" فهو إنشاء صريح. والإنشاء الصريح ذو معنى أشد تخصيصا من الإنشاء الأولي.

فإذا قال أحدهم: "أعدك بأن أكون هنا على الساعة الثانية"، في المقام المناسب، فإنه من العسير أن ينفي بعد ذلك أنه أنشأ وعدا. ولكن إذا قال: "سأكون هنا على الساعة الثانية"، في سياق يقصي كل تأويل غير الوعد، فإنه من المقبول أن يثبت أن الأمر يتعلق بإسناد لا بوعد، وأن تحقيق الإسناد يخضع لعوامل مستقلة عن إرادته[2].

وتجدر الإشارات إلى أن "أوستين" قد ميز بين الجمل الإنجازية والاستعمالات الإنجازية، على اعتبار أنه عندما يتلفظ متكلم بعبارة معينة داخل سياق تواصلي محدد فإنما يكون بصدد إنجاز فعل معين، تتحكم فيه ظروف مقامية محددة. وعليه أكد أن استعمال جملة ما تتضمن ثلاثة أفعال[3]:

1- فعل صوتي: ومفاده إنجاز بعض الأصوات.

2- فعل صيغي: ومفاده إنجاز بعض الألفاظ في تركيب معين وتنظيم معين.

---

[1]- ملاوي صلاح الدين: نظرية الأفعال الكلامية في البلاغة العربية، مجلة كلية الآداب واللغات، عدد4، جانفي2009 ص03.

[2]- ينظر:صابر الحباشة التداولية والحجاج مداخل ونصوص، صفحات للدراسات والنشر، دمشق- سوريا،ط1، 2008 ص78-79

[3]- العياشي أدراوي: الاستلزام الحواري في التداول اللساني ص 81.

3-فعل تبليغي: ومفاده استعمال بعض التراكيب بدلالة معينة، وهذه الدلالة تتكون من معنى مكونات التركيب المستعمل وإحالتها[1].

ولكنه سرعان ما رأى أن الفعل الكلامي مركب من ثلاثة أفعال:

1-فعل لفظي،2- فعل إنجازي (العمل اللاقولي)،3- الفعل التأثيري(عمل التأثير بالقول)[*].

ثم قدّم تصنيفا للأفعال الكلامية تمثل في:

1-الحكميات،2-التنفيذيات،3-الوعديات،4-السلوكيات،5-العرضيات[**].

وعلى الرغم من كل هذا لم يتوصل "أوستين" إلى وضع نظرية متكاملة للأفعال الكلامية، فما قدمه من تصور لم يكن كافيا ولا قائما على أسس منهجية واضحة ومحددة، فقد خلط بين مفهوم الفعل قسما من أقسام الكلام، والفعل حدثا اتصاليا، ولم يقم تحديده للأفعال وتصنيفه لها على أساس راسخ فتداخلت فئاتها، وأدخل في بعض الفئات ما ليس منها، لكنه على الرغم من ذلك وضع بعض المفهومات المركزية في النظرية، ومن أهمها تمييزه بين معادلة أداء الفعل الإنجازي، والنجاح في أداء هذا الفعل، وتمييزه بين ما تعنيه الجملة وما قد يعنيه المتكلم بنطقها، وتمييزه بين الصريح من الأفعال الأدائية والأولي منها فضلا عن تحديده للفعل الإنجازي الذي يعد من أهم المفاهيم في هذه النظرية[2].

وعلى العموم يبقى ما طرحه "أوستين" ممهدا لنشوء نظرية للأفعال الكلامية اكتمل بناؤها على يد ثلة من الباحثين أمثال:**"سيرل"** و **"غرايس"**... فاتسعت بذلك

---

[1]- جاك موشلار-آن ريبول: القاموس الموسوعي للتداولية،ج1، ص 65.

[*] - اقترح: طه عبد الرحمن: كمقابل للفعل اللفظي أو(فعل النطق):الفعل الكلامي أو(فعل الكلام) و كمقابل للفعل الانجازي: الفعل التكلمي أو(فعل التكلم)، كما اقترح: الفعل التكليمي كمقابل للفعل التأثيري: ينظر:اللسان والميزان ص 260.

[**]- سبق وأن أشرنا إلى ذلك بالتفصيل في المدخل.

[2]- محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 70-71.

وأصبحت أكثر استيعابا لجملة من القضايا المهمة كالقصدية التي تقوم على أسس تداولية درسها فلاسفة التحليل ثم توسع في تفريعها وتعميقها التداوليون حتى أصبحت شبكة من المفاهيم المترابطة، وصارت قيمة تداولية نصية / حوارية، ويعد مراعاة مفهومها العام وشبكتها المفاهيمية من أبرز المفاتيح المنهجية في الدراسات اللسانية النصية[1].

فقد بنى **"سيرل"** نظرية منتظمة للأفعال الكلامية على ما ابتدأه **"أوستين"** رأى فيها أن الكلام محكوم بقواعد مقصدية، وأن هذه القواعد يمكن أن تُحدد على أسس منهجية واضحة ومتصلة باللغة[2]، واهتم بالأعمال المتضمنة في القول، فلقد شك في وجود أعمال تأثير بالقول، ولم يحفل بالأعمال القولية، يتمثل إسهامه الرئيسي في التمييز داخل الجملة بين ما يتصل بالعمل المتضمن في القول حدّ ذاته، وهو ما يسميه "واسم القوة المتضمنة في القول "، وما يتصل بمضمون القول، وهو ما يسميه "واسم المحتوى القضوي ". فمثلا في الجملة: "أعدك بأن أحضر غدا"، نجد أن "أعدك" هو "واسم القوة المتضمنة في القول"، وبأن "أحضر غدا" هو "واسم المحتوى القضوي". ولقائل هده الجملة مقصدين هما: الوعد بالحضور غدا وإبلاغ هذا المقصد من خلال إنتاج هذه الجملة بموجب القواعد التواضعية المتحكمة في تأويل هذه الجملة في اللغة المشتركة[3]. كما عدل "سيرل" التقسيم الذي قدّمه أستاذه "أوستين" للأفعال الكلامية، حيث ميّز بين أربعة أفعال تنجز معا في الوقت نفسه، وهي: "فعل القول، الفعل القضوي، الفعل الإنجازي، الفعل التأثيري".

---

[1] - مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب ص 61.

[2] - ينظر: محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 71.

[3] - آن ريبول- جاك موشلار: التداولية اليوم علم جديد في التواصل ص 33-34.

1- فعل القول Acte d'énonciation : يتمثل في التلفظ بعبارة لغوية ما طبقا للقواعد الصوتية والتركيبية لتلك اللغة على نحو صحيح (وهو يضم كل من الفعل الصوتي والتركيبي عند "أوستين").

2- الفعل القضوي Acte propositionnel: يقابل الفعل الدلالي عند "أوستين"، على اعتبار أن ما كان يعرف بالفعل الدلالي، وكان يشمل عنصري المعنى والإحالة، أصبح عند "سيرل" يشكل فعلا مستقلا، يسمى الفعل القضوي، ويتضمن فعلي "الإحالة" و"الحمل".

3- الفعل الإنجازيActe illocutionnaire: كالاستفهام، والأمر، والنهي ، والوعد...إلخ[1].

والفعل القضوي عند "سيرل" يتداخل مع الفعل الإنجازي، فلا يمكن للفعل القضوي أن يقع وحده، بل يستخدم دائما في فعل إنجازي في إطار كلامي مركب، فلا يمكن النطق بفعل قضوي دون مقصد معين من نطقه، ويعتبر "سيرل" الفعل الإنجازي بمثابة الوحدة الصغرى"Unité Minimal " للاتصال اللغوي ككل. ولإيضاح ذلك نذكر الجمل الآتية:

1-يقرأ زيد الكتاب ، 2- أيقرأ زيد الكتاب؟

3-يازيد اقرأ الكتاب ، 4- لويقرأ زيد الكتاب!

عند النطق بهذه الجمل ينجز المتكلم ثلاثة أنواع من الأفعال في وقت واحد:

أ- الفعل النطقي : يتمثل في تلفظ سلسلة من الأصوات التي تُكون مجموعة من الألفاظ مرتبة ضمن نسق نحوي وتركيبي صحيح.

[1] -ينظر: العياشي أدراوي: الاستلزام الحواري ص 91-92.

ب- الفعل القضوي: ويتمثل في مرجع هو محور الحديث فيها جميعا، هو "زيد" وفي خبر هو فيها جميعا "قراءة الكتاب"، والمرجع والخبر يمثلان معا قضية هي: قراءة زيد الكتاب، والقضية هي المحتوى المشترك بينهما جميعا.

ج- الفعل الإنجازي: وهو الإخبار في الأولى، والاستفهام في الثانية والأمر في الثالثة، والتمني في الرابعة [1].

د- الفعل التأثيري acte perlocutionnaire: يتعلق بالنتائج التي يحدثها الفعل الإنجازي بالنسبة للمخاطب، فإذا سقت حجة يمكن إقناع المخاطب، وإذا أنذرته يمكن إخافته ... إلخ [2]. وتجدر الإشارة إلى أن "سيرل" لا يولي أهمية كبيرة إلى الفعل التأثيري، لأنه ليس من الضروري عنده أن يكون لكل فعل تأثير في السامع يدفعه إلى إنجاز فعل ما[3]، كما حدد "سيرل" الشروط التي بمقاضاتها يكون الفعل الكلامي موفقا- مطورا بذلك تصور "أوستين" لشروط الملائمة - فجعلها أربعة شروط :

1- شروط مضمونة القضية: هي تحدد أوصاف المضمون المعبر عنه بقول مخصوص.

2- الشروط الجوهرية: تعين الغرض التواصلي من الفعل التكلمي(الفعل الإنجازي) للتأثير في المخاطب لينجز الفعل.

3- شروط الصدق أو الإخلاص: فالمتكلم يريد حقا من المخاطب أن ينجز الفعل فهي تحدد الحال الاعتقادي الذي ينبغي أن يقوم بالمتكلم المؤدي لهذا الفعل التكلمي.

---

(1) - محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 72_73 .

(2)- العياشي أدراوي: الاستلزام الحواري ص 92.

(3)- محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 73 .

4- الشروط التمهيدية: تتعلق بما يعرفه المتكلم من قدرات واعتقادات وإرادات المستمع. وعن طبيعة العلاقات القائمة بينهما، فهي وثيقة الصلة بمقام التواصل[1]. ولم يكتف "سيرل" بذلك بل وضع مجموعة من المعايير يختلف بها كل فعل انجازي عن الآخر:

1- هدف فعل الانجاز.

2- اتجاه المطابقة بين الكلمات والعالم، إما من العالم إلى الكلمات، أو من الكلمات إلى العالم.

3- الحالات النفسية المعبر عنها.

4- الاختلاف في المحتوى القضوي المحدد بآليات مرتبطة بالقوة الإنجازية.

5- الاختلاف في القوة أو في الدرجة التي يتم بها عرض الغرض الإنجازي .

6- اختلاف منزلة كل من السامع والمتكلم، وتأثير ذلك على القوة الإنجازية للملفوظ.

7- العلاقة بين الملفوظ وأغاض كل من المتكلم والسامع.

8- العلاقة بين الملفوظ وعناصر الخطاب والسياق.

9- العلاقات بين الأفعال التي لم يتم إنجازها ضرورة بوساطة الكلام، وتلك التي تنجز بوساطة أو بدون الكلام.

10- الاختلاف بين الأفعال المؤسساتية والغير مؤسساتية.

11- وجود أو عدم وجود فعل انجازي مرتبط بفعل الانجاز.

12- طريقة أداء الفعل [2].

---

(1)- ينظر: طه عبد الرحمن: اللسان والميزان ص261، محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 75، آن ريبول- جاك موشلار: التداولية اليوم علم جديد في التواصل ص 34.

(2)- Jacques Moeshler et Antoine Auchlin ,Introduction à la linguistique Contemporaine, Edition , Armand colin, 2006 ,p135.

نقلا عن: نور الدين أجعيط: تداوليات الخطاب السياسي، عالم الكتب الحديث، إربد- الأردن، ط 1،2001،ص72

وقد أعاد سيرل اقتراح خمسة أصناف للأفعال الكلامية تبعا لهذه المعايير وهي:

1-الإخباريات: والغرض الإنجازي فيها هو نقل المتكلم واقعة ما (بدرجات متفاوتة) في حقيقة القضايا المعبر عنها. وأفعال هذا الصنف كلها تحتمل الصدق والكذب، واتجاه المطابقة فيها من الكلمات إلى العالم، والحالة النفسية هي اليقين بالمحتوى ويتضمن هذا الصنف معظم أفعال الإيضاح والأحكام.

2-التوجيهيات: غرضها الإنجازي محاولة المتكلم توجيه المخاطب إلى فعل شيء ما، ويمكن أن تنطلق من الاقتراح الخجول لتصل إلى المطابقة الإجبارية، واتجاه المطابقة فيها من العالم إلى الكلمات، حيث تكون الحالة النفسية رغبة/إرادة، والمحتوى القضوي فيها هو دائما إنجاز الفعل من طرف السامع في المستقبل، ويدخل في هذا الصنف: الاستفهام، و الأمر، والرجاء، والاستعطاف ، والتشجيع، والدعوة، والإذن، والنصح، والسماع، والاستجواب، والطلب ، والاستدعاء، والتحدي أيضا الذي جعله أوستين في أفعال السلوك، كثير من أفعال القرارات عند "أوستين" تدخل في هذا الصنف.

3-الإلتزاميات: غرضها الإنجازي هو التزام المتكلم بفعل شيء في المستقبل ،واتجاه المطابقة في هذه الأفعال من العالم إلى الكلمات، والحالة النفسية الواجبة هي صدق النية، ويقوم المضمون القضوي على إنجاز المتكلم لفعل في المستقبل. ويسجل "سيرل" من هنا بأن الإلتزاميات والتوجيهات تقدم نفس اتجاه المطابقة، فيما يخص مطابقة العالم للكلمات، ولكن ليس لهما نفس المرجع، فالمرجع في الإلتزاميات هو المتكلم، أما في التوجيهات فهو المخاطب، ونجد أيضا أن المتكلم

في الإلتزاميات لا يحاول التأثير في السامع وفي التوجيهات يحاول التأثير فيه، وكل هذا يَحول دون تجميعها في نفس الصنف.

4-التعبيريات: غرضها الإنجازي هو التعبير عن الموقف النفسي تعبيرا يتوافر فيه شرط الإخلاص، وليس لهذا الصنف اتجاه مطابقة، فالمتكلم لا يحاول أن يجعل الكلمات تطابق العالم الخارجي ولا العالم الخارجي يطابق الكلمات، وكمثال على الأفعال التعبيرية(التصريحية) نجد: الشكر، والتهنئة، والاعتذار، والتعزية ، والترحيب، والتأسف...

5-الإعلانيات: السمة المميزة لهذا الصنف من الأفعال أن أداءها الناجح يتمثل في مطابقة محتواها القضوي للعالم الخارجي، ومثال ذلك: فعل إعلان الحرب، فإذا أديت هذا الفعل أداء ناجحا فالحرب معلنة، وأهم ما يميز هذا الصنف من الأفعال عن الأصناف الأخرى أنها تحدث تغييرا في الوضع القائم، فضلا على أنها تقتضي عرفا غير لغوي، وعلى نظام من القواعد يضاف إلى القواعد المكونة للغة... إذ أن وجود المؤسسة ضروري في إنجاز الإعلان بنجاح.

ونجد كمثال عن المؤسسات: القانون، الدستور، الملكية الخاصة، والألعاب و قواعدها، والمقاولات...ومن غير الهين ختم اللائحة ، لأن كل أشكال الحياة الثقافية والطقوسية...إلخ تعد مرشحة لها، واتجاه المطابقة في أفعال هذا الصنف قد يكون من الكلمات إلى العالم، ومن العالم إلى الكلمات، ولا يحتاج إلى شروط الإخلاص [1].

وقد ميّز "سيرل" بين الأفعال الإنجازية المباشرة، والأفعال الإنجازية غير المباشرة، فالأفعال الإنجازية المباشرة عنده هي التي تطابق قوتها الإنجازية

[1] - ينظر: محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 78-79-80 . و فرانسواز أرمينكو: المقاربة التداولية ص 88-91، وفيليب بلانشيه: التداولية من أوستين إلى غوفمان ص 66.

مراد المتكلم، فيكون معنى ما ينطقه مطابقا مطابقة تامة وحرفية لما يريد أن يقول، أما الأفعال غير المباشرة فهي التي تخالف فيها قوتها الإنجازية مراد المتكلم، فالفعل الإنجازي يؤدى على نحو غير مباشر من خلال فعل إنجازي آخر[1].

ولقد اعتمد المعري في رسالته هذه - والتي كانت في خطوطها العريضة عبارة عن تهنئة بعث بها إلى بعض معاصريه على منظومة فعلية كلامية تراوحت بين الإخبار والإنشاء والوصف...فالمعري استهل رسالته بعبارات من التهاني إلى الأستاذ بمناسبة قدوم وزير السلطان "شبل الدولة" إليه. ونزوله عليه، ثم أخذ في مدحه والثناء عليه، ورأى بأن التهنئة لا تكون إلا بين الأكفاء، فشرع في إعطاء أمثلة تثبت وجهة نظره، و تؤيد ما ذهب إليه، فذكر بعض القصص الرائعة، والرموز الخيالية البارعة.

ثم استمر في الثناء على من اختصه برسالته، وعلى من يماثله في القدر والنبالة، واصفا إياهم ومعددا مزاياهم. وانتهى إلى قوله: إنه لم يرد كتابة هذه الرسالة خوفا من أن يتعرض للنقد والملامة، لولا أن "أبا فلان" أشار إليه بذلك، فإن أخطأ بتعرضه لمخاطبة من كتب إليه ،فإن من أشار عليه بهذا يحمل وزر ذلك معه، وختم بأنه أساء بهذا الأدب، وإن زاد على ذلك فإنه يكون قد تمادى. وبعد فحص مدونة الدراسة، والتمعن فيها، أمكننا التمييز بين الأفعال الكلامية الآتية:

أ- **الإخباريات:** تقتصر على الأفعال التي تصف وقائع وأحداثا في العالم الخارجي، ونقلها نقلا أمينا[2]، وقد جاء استعمال هذه الأفعال بكثرة في هذه الرسالة

(1)- محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 71 .
(2) – المرجع نفسه، ص 103 .

فابتدأ "المعري" رسالته بإخبار الأستاذ- من بعث له بهذه الرسالة- بأنه يهنئه بمناسبة قدوم الأستاذ "أبي علي" إليه، بقوله: "هناءٌ يُقرَنُ بهِ نورٌ وسَناءٌ، بل تَهانِي يُرغَمُ لَهُنَّ الشَانِئ، تَرَادَفُ إلى حضْرة ِالأستاذِ- طَالَ عُمرهُ في السَّعدِ الطَالعِ، ما خَلَدَ ركنا متَالِع- بقدومِ الأستاذِ حَليفِ الجَلالة "أبي علي" "[1]، فقد بين "المعري" أن توجهه إلى مخاطبته لم يأت من عدم، وإنما جاء لسبب وجيه تمثل في قدوم شخص له مقام عال، ومكانة رفيعة إلى هذا الأستاذ.

فهذه الزيارة أثرت في المعري وجعلته يستبشر خيرا مما دفعه ذلك إلى كتابة هذه الرسالة. ثم انتقل إلى الدعاء له بدوام الصحة والشباب بقوله: "خَضَبَ لَوْنه اليرنّأُ، إذ هو أحَمُ أو أحْمَرُ"[2] .فلون اليرنأ وهو الحناء تدل على حمرة الحسن، واليرنأ لا يعدو صنفين: أحدهما: أحم أسود وهو لون الشباب، وثانيهما: أحمر قانئ، وهو لون الحسن[3]. فهو يقر بأن الجمال لايتم إلا إذا كان أحم الشباب كأنما صبغته الحناء بلونها.

ويُقر بعد ذلك أن التهنئة لا تكون إلا بين أشخاص لهم نفس القدر والوزن في مجتمعهم، ولا تصح إلا بين النظراء والأنداد وذلك في قوله: "والتَهنِئَةُ يجِبُ أنْ تَقَعَ بين الأكْفَاءِ لا على مِقْدَارِ المِقةِ و الصَّفَاءِ. وأشْبَاهُه- في العصْرِ- وقد وَضَحَ بذلك الدَلِيل"[4]. فـ"المعري" يستعمل التقرير مؤكدا على التهنئة واجب وقوعها بين الأكفاء، فلا يجوز لمن هو أدنى شأنا أن يخاطب من هو أعظم منه قدرا، فهي لا تقاس بمعايير الإخلاص والثقة ولا المحبة والصفاء، ويؤكد كذلك على أن أمثال المرسل إليه في هذا العصر قلائل وغرضه تأدية فعل انجازي متضمن

---

[1] - أبو العلاء المعري: رسالة الهناء ص 71-72.

[2] - المصدر نفسه: ص 72.

[3] - المصدر نفسه: ص 44.

[4] - المصدر نفسه: ص 73.

في القول هو تعظيم لشأن من كتب إليه. ويخبرنا أن ممن يصلح له بالخطاب من الأكفاء: " "صَاعد بن مخلد" وكَانَ من ذَوِي المَجدِ الأَثْلِدِ، وصَاحِبُ الكُتُبِ "سَهل بن هَارُونَ" ورُؤَسَاء لَم يكُونُوا بالوِرْسِ يُهَارُونَ، وإنّمَا خَصَصتُ "صَاعد" و "سَهلًا"- وإن كَانَا للتَكْرِمَة أهلًا- إذْ كَانَا في السَّالِفِ على شَرِيعَة المَسِيحِ، ينْظُران في مُلكٍ للعَرَبِ فسِيح. وجَرَى مَجرَاهُمَا: "عُدَي بن زَيدٍ العبَادي" مُشِيرًا للنُعمَانِ فيما فَرَطَ من الأزمَانِ"[1]. فهؤلاء جميعا أهل لأن يكونوا نظراء للمرسل إليه لأنهم كانوا في عصرهم ممن لا ترقى إليهم الشبهات والظنون، ولا يرمون بالنقص والذم، وبهذه الأفعال الكلامية يكون "المعري" ضمنيا وفي سياق التعبير مادحا "لأبي فلان"(أي المرسل إليه)، ومعظما من شأنه.

وقد اختار **"أبو العلاء"** لتأييد ما ذهب إليه، والتأكيد عليه ذكر بعض القصص الخيالية الرائعة التي تبين "أن التَهنِئة إذا جَاءَت من غَيرِ نَظير فإنها تعتقد من المحاظير"[2]، فروى قصة عن الأسد وما حدث له مع الفأر بقوله: "كَمَثَلِ الأَسَدِ لمَّا ظَفر بفَرَسٍ لبَعضِ المُلُوكِ، لم تَسْمُ إلى رُكُوبِهِ نفسُ صُعلُوكٍ... واجْتمَعَتْ إليه أَصْنَافُ الوَحْشِ مُهَنئَات، خشَّعًا من الهَيبَةِ- مُتجَنِئات. فقائِلٌ لا يَخرُجُ عن الإيجَازِ، وصَامِتٌ لا يَجتَرِؤُ على المَجَازِ... قال فِرْنبٌ هو- في المَقالَةِ- مُذْنِبٌ ..."[3].

ففي هذه القصة يخبرنا "المعري" عن الأسد هذا الملك العظيم الذي تهابه الوحوش وما مني به من غنيمة، وهي فرس لإحدى الملوك "لم تسم إلى ركوبه نفس صعلوك" ففي ظاهر الفعل الكلامي أن هذا الفرس لم يركبه أحد وضيع قط، وهو ضمنيا يدل على أنه صيد ثمين، فقد نفى عنه كل ما يدنسه. وقد اجتمعت

(1) – المصدر السابق: ص 73-74-75-76.
(2) - المصدر نفسه: ص 76.
(3)- أبو العلاء المعري: رسالة الهناء ص 76-77.

إليه الوحوش مهنئات الذين وصفهم "المعري" بأنهم كانوا يهابونه ويخافون منه، ولم يستطيعوا التكلم في حضرته، وإنما يدل ذلك على ما يمتلكه هذا الأسد من وقار ومنزلة رفيعة، وعلو شأن. فلما طال سكوتهم تكلم في حضرته فرنب وهو فأر صغير وضيع القدر حقير. "فنَظَرَ الأَسَدُ نَظَر مُغَضَب، وكَأَنَه- منَ الأَسَفِ- على مِحْضَبٍ "[1]. فقد أهل الفأر لنفسه ما لا يحق له.

وهو ما دفع الأسد- كما يخبرنا المعري بذلك- إلى الغضب منه ومعاقبته. فظاهر هذه الأفعال الكلامية يدل على أن الأسد قد غضب من الفأر، ولكن الأفعال المتضمنة في القول تبين أن هذا الفعل مذموم أي مخاطبة من هو أعلى شأنا وأرفع مرتبة، والنهي عن الإتيان بمثله وتحذيرهم من عواقبه الوخيمة، والتي أدت في القصة بالفأر إلى مواجهة مصيره المحتوم وهو الموت.

وفي نفس السياق يذكر المعري مثالا آخر لإقناع مخاطبه إلى ما ذهب إليه. من إقراره أن التهنئة لا تكون إلا بين الأكفاء، فيخبر عن قصة أخرى مماثلة للتي ذكرها سابقا بقوله: "وكَمَثَلِ عَظِيمٍ من جَوَارِحِ الطَّيْرِ كان يَرْجِعُ إلى الأفْرَاخِ بمَيْرٍ، فجَاءَ ومَعَهُ إحْدَى الفُورِ، فصَمَتَتْ ذَوَاتُ الأَجْنحَةِ غير العُصفُورِ- فقال: قَرَّتْ لَامِحَتكَ من قَيلٍ، ما اقتنَعَ للنَّاهِضِ بخَسِيسِ النَّيلِ..."[2].

وقد جسدت الأفعال الكلامية هنا صورة واضحة عن عظمة هذا الطير الجارح، الذي تهابه كل ذوات الأجنحة فلم تتجرأ عن مخاطبته. إلا العصفور الذي خاطبه خطاب الصعلوك مبتدءً بالدعاء وآيات المدح والثناء. فقابله هذا الجارح بالذم واصفا إياه بالجاهل، ولم يعف عنه، وأنزل به أشد العقاب.

---

(1) – المصدر السابق: ص 78-79.
(2) - المصدر نفسه: ص 80-81.

فمن خلال كل ما سبق نجد أن الإخباريات دلت على أفعال إنجازية مباشرة تمثلت في الإخبار والتقرير، وأخرى مستلزمة دلت على التعظيم والذم والتحقير.

ب-التوجيهات: وهي نوع من أفعال الكلام يستعملها المتكلمون ليجعلوا شخصا آخر يقوم بشيء ما، فهي تعبر عما يريده المتكلم، ونجد في المدونة التي بين أيدينا:

ب1-الأمر: الذي يعرفه **"السكاكي"** بقوله: "الأمر في لغة العرب عبارة عن استعمالها، أعني استعمال نحو لنزل - وانزل- ونزال وصه على سبيل الاستعلاء، وأما أن هذه الصور والتي هي من قبيلها هل هي موضوعة لتستعمل على سبيل الاستعلاء: أم لا؟ فالأظهر أنها موضوعة لذلك، وهي حقيقية فيه، لتبادر الفهم عند الاستماع نحو: قم، وليقم زيد، إلى جانب الأمر، وتوقف ما سواه من الدعاء، والالتماس، والندب، والإباحة، والتهديد، على اعتبار القرائن"[1] فالمتكلم هو المسؤول على أن يعبر بما يقوله عن الأمر.

ففي قوله: "فَأَوْحَى- بالعَجَلِ- إلى هِرٍّ، في البَرِّ، أن يُنزِلَ - بالبِرِّ النَاطِقِ- ما سَنَحَ من الشَرِّ"[2]. فالمتكلم هنا هو الأسد أعطى أمرا إلى الهر على سبيل الاستعلاء بأن يعاقب هذا الفأر الناطق الذي تجرأ على مخاطبته وهو الجبار الذي لا يليق به أن يخاطبه من هو أقل شأنا منه. وهذا الحكم الذي أصدره يعد تنكيلا به وترهيبا لغيره حتى لا يأتوا بمثل ما جاء به.

وقول الجارح لباز منه قريب: "لَاقِ هَذَا الجَاهِلَ بسُوءِ التَثْرِيب"[3]. وهو أمر صريح يقتضي الإذعان والرضوخ له، ويعبر الأمر عن فعل كلامي مباشر

---

(1) - السكاكي: مفتاح العلوم، ضبط وتعليق: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط 2 ،1407هـ- 1987 م، ص 318.

(2) - أبو العلاء المعري: رسالة الهناء ص 79.

(3)- المصدر نفسه: ص 81 .

هو طلب القيام بالفعل على وجه الإلزام والاستعلاء وفيه معنى التأكيد. وفعل تلك الأوامر في المستقبل مطلوب في المأمورين، وهم قادرين على إنجاز تلك الأفعال، والمتكلم على يقين من قدرتهم على ذلك، وتستمد هذه الأوامر قوتها من سلطة صاحب الأمر.

ب2-الاستفهام: يعد استعمال الأسئلة الاستفهامية من الآليات اللغوية التوجيهية بوصفها توجه المرسل إليه إلى خيار واحد وهو ضرورة الإجابة عليها. ومن ثم، فإن المرسل يستعملها للسيطرة على مجريات الأحداث، بل وللسيطرة على ذهن المرسل إليه، وتسيير الخطاب تجاه ما يريده المرسل، لا حسب ما يريده الآخرون[1].

فعند قوله: "مَا ذَنْبِي! أُوكَلُ في جِوَارِ الجَبَّارِ أُ سَامَةَ"؟[2] فالقصد هنا ليس البحث عن الإجابة، وإنما قصده الإجابة في عمل فعلي، وهو استعطاف المرسل إليه وهو الأسد، فهو بهذا يحاول أن يستعطفه حتى يغيّر قراره ويصفح عنه، فكيف لهذا الفأر الضعيف أن يؤكل في جوار ملك قوي دون أن يحرك ساكنا، ويشفق عليه. فالمطلوب هو فعل العفو الذي يريده المرسل(الفأر) من المرسل إليه (الأسد)، لكن ذلك لم يؤثر في الأسد ولم يعف عنه.

ونجد الاستفهام أيضا في قول الجارح في القصة الثانية: "مَنْ هُوَ؟ حَتَى يَتكَلَمَ لَدَيَّ"، وهو يقصد: من يكون هذا العصفور حتى يتجرأ على مخاطبتي فالفعل المتضمن في القول هو التحقير والتقليل من شأن المتكلم فقد عبر بهذا عن رفضه واستنكاره لأن يخاطبه من هو أصغر منه شأنا، وأقل قدرا، فالفعل المتضمن في القول هو التحقير والتقليل من شأن المتكلم. وحين نتأمل الاستفهام الآتي:

[1]- عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب –مقاربة لغوية تداولية، ص 352.

[2]- أبو العلاء المعري: رسالة الهناء ص 79.

"فَمَن هَذَا الرَّجُلُ الصَالِحُ الذي عَمِلَ خَيْرًا في الصَّرعَينِ، ودَأَبَ في صَلَاحِ الشَّرعَينِ."[1] نلاحظ أن الأفعال الكلامية في ظاهرها توحي بأن المستفهم (وهم الحيتان) يريد معرفة هذا الشخص الذي بسببه انشقت البحار، وانفصل ماؤها فكان كل فرق كالطود العظيم، فانحسر البحر عن قيعانه، وبانت الحيتان التي أهالها هذا الموقف، غير أن هذا الاستفهام جاء لغرض ضمني تمثل في التعجب من هذا الرجل الذي تحولت ببركته ويُمنه المستحيلات الممتنعة إلى جائزات ممكنة، فـ"المعري" من خلال هذا المثال يحاول أن يبين بأن هذا الرجل له مكانة رفيعة ومنزلة كبيرة فهو بذلك يثني عليه ويمدحه.

ب3-الطلب: ففي قوله: "فَأَومَأَ البَازِي المُتَجَبِّرُ...إلى بَاشِقٍ في الحَضرَة"[2].الفعل الكلامي المتضمن في هذا التركيب هو الطلب، فالبازي عندما حقر من شأن العصفور، ورأى أنه بالاختطاف غير جدير، طلب من باشق أن يعجل بإتلافه ويسرع إلى اختطافه، والمتكلم هنا أراد التأثير في المخاطب، وحمله على فعل شيء وهو قتل واتلاف العصفور.

وفي قول **"المعري"**: "فقِرْنِي ضُلٌّ بن ضُلٍّ. أو هَيُّ بن بَيٍّ"[3].

وفعل القول هذا معناه: يطلق على شيء "ضل بن ضل" إذا كان لا يوقف له على أثر، ولا يعرف إن كان من البشر أو غير البشر، ومثله في التعبير عن المفقود، والتمثيل لغير الموجود، "هي بن بي"[4]،والفعل المتضمن في القول هو طلب من السامع أن يعتبره كذلك بعد أن ألزمه الحجة لذلك بتمثيله لنفسه كأقرانه من حملة العصي الذين يجلسون بالمكان القصي وذلك قصد التأثير عليه.

(1)- المصدر سابق ص99.
(2)- المصدر نفسه ص82.
(3)- المصدر نفسه ص85-86.
(4)- المصدر نفسه ص54.

ج- التعبيريات: وهي نوع من الأفعال الكلامية، التي تبين ما يشعر به المتكلم، وغرضها التعبير عن الحالة النفسية تجاه الواقعة التي تعبر عنها القضية[1].

وقد ورد في المدونة هذا النوع من الأفعال نذكر منها قول "المعري" مخاطبا من بعث إليه برسالته: "هنَاءٌ يُقْرَنُ به نُورٌ و سَنَاءٌ، بل تَهَانِئ يُرغَمُ لَهُنَ الشَانِئُ، تَرَادَفُ إلى حَضْرَة الأُسْتَاذِ"[2] فقد توجه إليه بآيات من التهاني والتي قرنها بالنور و الضياء، والحسن والبهاء، والرفعة والسناء والسمو والاعتلاء، بسبب قدوم الأستاذ "أبي علي" معبرا بذلك عن مدى تأثره بهذه الزيارة و سعادته بها، ذاكرا بأن هذه التهاني يُرغم لها أنف المبغض الشانئ فهي تؤثر فيه وتجعله يُذعن لها، فقد عبَّر "المعري" بذلك عن حالته النفسية الوجدانية مشاركا بذلك المرسل إليه بهذا الحدث العظيم. كما أخبر أن التهنئة لا تكون من غير نظير بقوله: "وإذا جَاءتِ التَهنِئةُ من غيرِ نَظِيرٍ ، فإنَّها تُعتَقَدُ من المَحَاظِيرِ"[3]، فعبر عن رفضه لهذا الفعل لما في ذلك من كراهة، فمن غير الملائم أن تجيئ التهنئة ممن هو أقل شأنا وأدنى منزلة، فالفعل المتضمن في هذا القول هو الذم والانكار لهذا العمل، والتحذير من الوقوع فيه لأنه مذموم وغير مستحب، وفي سياق هذا الحديث ذكر "المعري" قصة الأسد الذي "ظَفرَ بفَرَسٍ لم تَسمُ إلى رُكُوبِهِ نفسُ صُعلُوكِ...و اجْتَمَعَت إلَيهِ أَصْنافُ الوَحْشِ مُهَنئاتٍ"[4]معبرات عن فرحها بهذا المغنم الذي مني به الأسد، وهو فعل متضمن في القول اشتق من المعنى الأصلي (الإخبار) ليؤدي معنى الفرح والسرور، إلا أن الوحوش لم تستطع أن تتكلم في حضرته فالتزمت الصمت في قوله :"خُشَّعًا من الهَيبَةِ مُتَجَنِئاتٍ. فَقَائِلٌ لا يَخْرُجُ عن الإِيجَازِ، وصَامِتٌ لا يَجْتَرِئُ عَلى المَجَازِ" [5]. فقد عبّرت عن هيبتها وخوفها من الأسد فلم تتجرأ

---

(1)-جورج يول: التداولية، ترجمة: قصي العتابي ص90.
(2) -أبو العلاء المعري: رسالة الهناء ص71.
(3)-المصدر نفسه ص76.
(4)- المصدر نفسه ص76-77.
(5) - المصدر نفسه ص 77 .

على مخاطبته، وانعقدت من الذعر ألسنتها. إلا أن فأرا صغيرا وضيع القدر تكلم في حضرته، فلم يقبل الأسد هذا التصرف منه، فنظر إليه "نَظَرَ مُغضب، وكَأنَه من الأسَفِ على مِحْضَبٍ" [1]. معبرا بذلك عن غضبه وسخطه وكذلك في قوله: "فَعُدِدْتَ من أَصْحَابِ السَّفَهِ والجَهْلِ" [2]، فالمتكلم هنا هم الجند، والمخاطب هو الفأر، فقد عدُوه من أصحاب السفه والجهل لأنه جاء بعمل شنيع استحق من أجله التقريع وكذا العقاب على فعلته .

وقوله: "صَمَتَتْ لِهَيبَتِهِ ذَوَاتُ الأجْنِحَةِ غير العُصْفُورِ" [3]. فهذا الفعل القولي يتضمن معنى الخوف والهيبة، فجميع الطيور لم تستطع التكلم في حضرة الجارح خوفا منه واتقاء لشره، فكان نتيجة هذا الخوف الصمت والرهبة .

كما نجد في: "وهُو عنِ اختِطَافِ البَائِسِ مُتَكبِر" فعل قولي يتضمن معنى التحقير. فالبازي من خلال هذا القول يحقر من شأن العصفور، ويرى نفسه غير جدير حتى بأن يعاقبه، وهو ما دفع به إلى إيكال مهمة عقابه وقتله إلى طائر آخر .

فقد دلّت التعبيريات على الحالة النفسية للمعري الذي عبّر عن مدى تأثره بذلك.

د-الإلتزاميات: وغرضها الإنجازي هو التزام المتكلم بفعل شيء في المستقبل، و أطلق عليها **"جورج يول"** :"الملزمات وهي تعبر عما ينويه المتكلم من وعود وتهديدات وتعهدات"[4]، بحيث يأخذ المتكلم على عاتقه جعل العالم ملائما

---

[1] – المصدر السابق ص 78 .

[2] - المصدر نفسه ص 79 .

[3]- المصدر نفسه ص 80 .

[4]- جوج يول: التداولية، ترجمة : قصي العتابي ص 90 .

للكلمات والمحتوى القضوي فيها دائما فعل المتكلم شيئا في المستقبل، وشرط الإخلاص هو القصد[1].

كقول "أبي العلاء المعري" في "رسالة الهناء" :"والأستُاذُ سَهرَ لإيمَانِ السَارِيَةِ من الآسَادِ ، وسَوفَ يتَبَيَّنُ سَعَادَة العَاقِبَة في الدَّارِ العَاجِلَةِ ، قَبْلَ الآجِلَةِ"[2].

وفعل القول هذا الغرض منه هو إثبات أن الأستاذ قام بأعمال جليلة ومساعي نبيلة أهلته لأن يجازيه الله خير الجزاء على ما قام به، والمحتوى القضوي في هذا القول دال على المستقبل "سوف يتبين" . فقد أغرى المتكلم مراسله بما ينتظره من ثواب .

وفي قوله: "وَلَو جَازَ أن تَنشَقَ الطَامِيَةُ لغَيرِ الكَلِيمِ ، لَا نْفَرَقَ لُجُّهَا لَهُ غَيْرَ مُلِيمٍ "[3]. فالفعل الكلامي له دلالة غير مباشرة تتمثل في الجزاء، فالله يجازي الذين يعملون الخير والمحسنين خير الجزاء، والمعري هنا يطمع في أن يثاب مراسله ، وأي ثواب يعدل من انفرق له البحر .

وكقوله :"ولَا يَمْتَنِعُ في القُدرَةِ أن يَعذُبَ لبَركَتِهِ المَاءُ الأُجَاجُ ، فيَعُودَ كأَنَّهُ من النَّحْلِ مُجَاج"[4]. ويدل هذا الفعل الكلامي على تنبيه الكاتب مرسله إلى أنه بما خلفه من أثر حميد وعمل مجيد يستحق أن يكافئ ويجازى أحسن الجزاء ، وإعلامه أن الله قادر على أن يجازيه بجعل الماء المالح عذبا بقدرته وببركة هذا الرجل الصالح فيعود و كأنه العسل .

---

(1) - محمود أحمد نحلة : آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ص 50.

(2)- أبو العلاء المعري : رسالة الهناء ص 95 .

(3) - المصدر نفسه ص 96-97 .

(4) - المصدر نفسه ص 99 .

ومن خلال كل ما سبق نلاحظ تعدد الأفعال الكلامية الدالة على الإلتزاميات حيث تراوحت بين الوعد والجزاء الذي ينتظر من يقوم بأفعال خيرة فالله يجازي من يعملون الخير والمحسنين خير الجزاء.

هـ -الإعلانيات (الإيقاعيات): أداءها الناجح يتمثل في مطابقة محتواها القضوي للعالم الخارجي، واتجاه المطابقة فيها اتجاه مزدوج، أي من الكلمات إلى العالم، ومن العالم إلى الكلمات، ولا يحتاج إلى شرط الإخلاص[1]. وأهم ما يميز هذا الصنف عن الأصناف الأخرى، أنها تحدث تغييرا في الوضع القائم، فضلا عن أنها تقتضي عرفا غير لغوي[2]. ففي قوله :"والضَّيْغَمُ لَهُ نِعمَ الجَارِ يَمْنَعُهُ أَذَاةَ الشَغُوبِ، من خَيْطَلٍ تَبَرَرَ وسُرْعُوبٍ" [3]. يتضمن هذا القول فعلا كلاميا يعلن المتكلم فيه أن هذا الضيغم كان يحمي جاره(الفرنب أو الفأر) من الأذى والضر، وهذا يبين مدى قوة هذا الضيغم وقدرته، وضعف الفأر وعدم حيلته، فقد قصد المتكلم إبراز جانب القوة للأسد .

وفي قوله : "أنْ يُنْزِلَ بِالبِرِّ النَاطِقِ مَاسَنَحَ مِنَ الشَّرِ" . فعل كلامي إيقاعي يتحقق الفعل بمجرد التلفظ بالمنطوق الإنجازي، أي يحصل الشيء ويتحقق بمجرد الأمر به من قبل السرحان أو النمر الذي سمح بأن ينفذ العقاب بواسطة البر الناطق. فالفعل الكلامي هنا يتحقق بمجرد صدور الأمر، وبذلك يكون المتكلم (السرحان أو النمر) قد أنجز فعلا بقول، لكنه غير متوقف عليه، أما الفعل التأثيري فهو استجابة المأمور وهو البر الناطق للأمر وتنفيذه. وتتجلى كذلك الإعلانيات في الدعاء في قوله: "حَرَسَهُمَا اللهُ شَهْرَيْ رَبِيعٍ...أَعَزَّ اللهُ نَصْرَهُ...واللهُ بِكَرَمَهِ يَنْعَمُ

(1) - محمود أحمد نحلة : آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ص 80.

(2)- المرجع نفسه ص 80.

(3) - أبو العلاء المعري : رسالة الهناء ص 78 .

على الرَّعِيَّةِ بِمَدِ البَقَاءِ لَهُمَا مُنْعَمَيْنِ" [1].فقد تضمنت هذه الأفعال القولية دلالة الدعاء، وقد توفرت هذه الأفعال على نية القصد والإبلاغ، ودلت على زمن الحاضر والمستقبل.

فقد تنوعت إذا الأفعال الكلامية في الرسالة لأن هذه الأفعال تعبر عن الذات المنتجة للخطاب، وقد استعمل "المعري" الأفعال الكلامية غير المباشرة التي فرضت أفعالا متضمنة في القول استمدت قوتها الإنجازية من السياق الذي وردت فيه وغرضها التأثير على المرسل إليه.

[1]- المصدر السابق.

خاتمة

بعد هذه المقاربة لـ "رسالة الهناء" من خلال المنهج التداولي نخلص إلى مجموعة من الملاحظات والنتائج التي يمكن اجمالها فيما يلي:

- تهتم التداولية بدراسة اللغة في الاستعمال أو في التواصل الذي يرتبط بتداول اللغة بين المرسل والمرسل إليه في سياق محدد.

- انبثقت التداولية من التفكير الفلسفي في اللغة حيث نهض بها تداوليون مختلفون يصدرون عن اختصاصات مختلفة.

- توخي "المعري" لاستراتيجية منظمة و متدرجة في عرض رسالته حيث مهد لها من خلال الاستهلال الذي يلفت انتباه المتلقي، ويشده إلى الموضوع بما يضمن له التواصل الجيد معه.

- اسهام السياق وبشكل كبير في إضاءة معاني النص، ومعرفة عناصر السياق تؤدي إلى تجلية المعنى ومعرفة ما يهدف إليه المرسل، بدءا بالعنوان الذي يعتبر نقطة الإرسال الأولى التي تحمل في طياتها إشارة إلى مضمون النص. ثم المرسل والمرسل إليه اللذان يعتبران من أهم عناصر العملية التواصلية، فبدونهما لم يكن ليتم هذا التواصل، فلا قيمة إذا للكلمات بعيدة عن سياقها؛ إذ لا بد من معرفة الظروف المحيطة، وزمان ومكان التواصل لكي تتضح المعاني المطلوب إيصالها إلى المرسل إليه والتي يرمي إليها المرسل.

- استعمل "المعري" وسيلة للإقناع تمثلت في الحجاج في محاولة منه لخدمة وجهة نظره والتأثير في مراسله عن طريق حمله على التسليم بصحة ما ذهب إليه، والتصديق لما يطرحه من وجهات نظر، وقد استعمل في ذلك الحجج الجاهزة كالمثل (سواء أكان ذلك بالتشابه أو باستعمال القصص الخرافية)، والشاهد (إما بآيات من القرآن الكريم أو الشعر) كل ذلك من أجل التأثير والإقناع.

أو عن طريق الروابط التي تحمل قيمة حجاجية كبيرة إذ تسهم في تقوية المعنى وتحديد العلاقة الخطابية بين المتراسلين من جهة وبين أطراف الرسالة من جهة أخرى؛ مما أدى إلى انسجامها وترابطها.

تجلت في الرسالة الإشاريات التي تعد من المبهمات، والتي لا يتحدد مرجعها إلا من خلال السياق، وقد لمسنا حضورا فعّالا لضمائر الغائب، أما ضمائر الحاضر فلا نلمس منها إلا القليل نظرا لكون هذه الرسالة توجه بها "المعري" إلى شخص يعتبر إلى حد ما مجهولا، لأنه لم يذكر اسمه وإنما ذكر كنيته فقط، وأدى به ذلك أيضا إلى استعمال الإشاريات الدالة على زمان ومكان مبهمين لم يحددهما، لكن الإشاريات الاجتماعية جاءت لتدل على أن المرسل إليه له مكانة مرموقة في مجتمعه.

- انطلاق "المعري" أثناء بناء رسالته من عدّة افتراضات مسبقة لما لها من أهمية قصوى في عملية التواصل والإبلاغ ونجاحها مرتبط بوجود خلفية مشتركة بين المرسل والمرسل إليه.

- حملت الرسالة في طياتها مضامين تلزم المرسل إليه على محاولة الوصول إلى كنهها وتفسير الاستلزامات الحوارية التي ترمي إليها، فقد حمّل "المعري" رسالته بجمل لا تحدد بظاهر دلالاتها، بل تؤول بالاشتراك مع معطيات الخطاب المؤطرة لإنتاجه.

- اعتمد "المعري" على أهم جوانب التداولية المتمثلة في الأفعال الكلامية التي صنفها العلماء والباحثون خاصة "سيرل" الذي اعتمدنا على تقسيمه إلى خمسة أنواع كالآتي:

الإخباريات: التي دلت على أفعال إنجازية مباشرة تمثلت في الإخبار ولمسنا هذا حين التزم "المعري" بإخبار مراسله عن سبب توجهه لمخاطبته، وكذلك تركيزه على تقديم وذكر قصص ونماذج تدعم كلامه وتزيد من تأثير وإقناع المرسل إليه.

أما الأفعال الإنجازية غير المباشرة (المستلزمة) فتمثلت في التعظيم والتحقير ومثال ذلك حين أقر "المعري" بوجوب وقوع التهنئة بين الأكفاء معتبرا نفسه غير جدير بمخاطبة مراسله، ومحقرا لنفسه في مقابل تعظيم من كتب إليه، فقدم أمثلة عن أقرانه ونظراء المرسل إليه.

التوجيهيات: والتي تضمنت عدّة أفعال كلامية تمثلت في: الأمر والطلب والاستفهام.

-أما الأمر: فله قوة إنجازية حرفية وأخرى مستلزمة وردت في الرسالة من خلال القصص التي ذكرها "المعري" وتجلت في الأوامر ممن هو أعلى شأنا – على سبيل الاستعلاء – إلى من هو أدنى منه، فما كان منه إلا الرضوخ والإذعان للأوامر.

-أما الاستفهام: فله قوة إنجازية حرفية هي السؤال وقوة إنجازية أخرى مستلزمة كالاستعطاف والتحقير والرفض والاستنكار والتعجب، واستغل "المعري" هذه القوى المتضمنة في القول للتعبير عن عظمة مراسله.

التعبيريات: تضمنت أفعالا كلامية تعبيرية دلت على الحالة النفسية على اعتبار أن الغرض الأصلي لهذه الرسالة هو التعبير عن الغبطة والفرح بزيارة "أبي علي" إلى المرسل إليه فجاءت الرسالة بالتالي عبارة عن تهنئة.

أما الإلتزاميات فلم تتوفر عليها المدونة بدرجة كبيرة وتحددت بالوعد والجزاء في حين تضمنت الإعلانيات في مجملها على الدعاء للمرسل إليه.

فهي إذا أهم النتائج التي توصل إليها البحث ولا ندعي في دراستنا لـ"رسالة الهناء" إحضار أي جديد بقدر ما هي محاولة منا لمقاربة النصوص الأدبية خاصة التراثية منها بالمنهج التداولي لما يمتلكه من آليات إجرائية قادرة على الغوص في أعماق النصوص واستقراء معانيها. وكثيرة هي الكتب التراثية التي بقيت في طيّ

النسيان وتحتاج إلى نفض الغبار عنها واستقرائها بواسطة هذه المناهج الحديثة التي تسهم في بعث التراث وتجديده.

ونسأل الله التوفيق

وله الحمد من قبل ومن بعد.

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.

المصادر والمراجع:

1 - المصادر:

- أبو العلاء المعري: رسالة الهناء تحقيق: كامل كيلاني، دار الآفاق الجديدة ،بيروت – لبنان: ط3: 1979م

2- المراجع العربية:

- ابن الأثير(ضياء الدين): المثل السائر في أدب الكاتب الشاعر، قدمه وعلق عليه: أحمد الحوثي وبدوي طبانة، دار نهضة مصر، الفجالة - القاهرة،ج3، د ت ، دط.

- أحمد عفيفي: نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة – مصر، ط1: 2001م.

- الأخفش الأوسط: معاني القرآن، تحقيق: هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي القاهرة- مصر، ج1،ط:1 1411هـ- 1990م

- الأزهر الزناد: نسيج النص مبحث فيما يكون به الملفوظ نصا، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء – المغرب، ط1: 1993م .

- أبوبكر العزاوي: اللغة والحجاج، العمدة في الطبع، الدار البيضاء – المغرب ، ط1 :2006م .

- جابر عصفور: الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي، دار المعارف، القاهرة- مصر، دت، د ط .

- الجرجاني عبد القاهر: أسرار البلاغة، قراءة وتعليق: محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة – السعودية، ط1: 1412هـ – 1991م .

- جعفر خريباني، أبو العلاء المعري- رهين المحبسين، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط1: 1411هـ- 1990م

- خليفة بوجادي: في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة ، العلمة – الجزائر ، ط1: 2009م.

- خولة طالب الإبراهيمي: مبادئ في اللسانيات، دار القصبة للنشر، حيدرة- الجزائر،ط2، د ت.

- ذهبية حمو الحاج: لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، دار الأمل، د ت ، د ط.

- السكاكي: مفتاح العلوم، ضبط وتعليق: تميم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط2 :1407هـ -1987م.

- صلاح فضل: بلاغة الخطاب وعلم النص: عالم المعرفة، أغسطس،1992م،د ط

- الطبري(أبو جعفر محمد بن جرير): تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: محمود شاكر، مراجعة: أحمد محمد شاكر، مكتبة ابن تيمية ، القاهرة- مصر، مجلد 4، ط3، د ت .

- طه عبد الرحمان: 1- تجديد المنهج في تقويم التراث، المركز الثقافي العربي، بيروت – لبنان، ط2، د ت.

2- في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، الرباط - المغرب، ط2، 2000م .

- عبد الحق بلعابد: عتبات(ج جينيت من النص إلى المناص)، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت – لبنان: ط1: 1429هـ -2008م.

- العسكري أبو هلال : الصناعتين :الكتابة الشعر، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار أحياء الكتب العربية، حلب- سوريا، ط1 : 1371هـ – 1952م .

- عبد القادر زيدان: قضايا العصر في أدب أبي العلاء المعري، دار الوفاء لدنيا الطباعة، الاسكندرية – مصر، ج1 ،ط1 ، 2006م.

- عبد الله بن المعتز: البديع، وتعليق: إغناطيوس كراتشقوفسكي، دار المسيرة ،بيروت- لبنان، ط3 : 1402هـ- 1982م .

- عمر أبوخرمه: نحو النص نقد النظرية وبناء أخرى، عالم الكتب، اربد- الأردن ، ط1 :1425هـ - 2004م.

- عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب – مقاربة لغوية تداولية- دارالكتاب الجديد المتحدة ط1 بيروت- لبنان 2004 م.

- العياشي أدراوي: الاستلزام الحواري في التداول اللساني من الوعي بالخصوصيات النوعية للظاهرة إلى وضع القوانين الضابطة لها، دار الأمان، الرباط – المغرب، ط1 : 1432هـ – 2011م .

- فاطمة الشيدي: المعنى خارج النص: أثر السياق في تحديد دلالات الخطاب، دار نينوى، دمشق – سوريا، د ط ، 2011م.

- الفراء(أبو زكريا يحي بن زياد): معاني القرآن، عالم الكتب، بيروت – لبنان ، ج3،ط3: 1403هـ-1983م.

- القرطاجني(أبو الحسن حازم): منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تقديم وتحقيق: محمد لحبيب بن خوجة، الدار العربية للكتاب، تونس، ط3، 2008م.

- القزويني الخطيب: الإيضاح في علوم البلاغة:المعاني والبيان والبديع، وضع حواشيه: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط1 : 1424هـ – 2003م.

- القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشا، طبعة مصورة عن طبعة المؤسسة المصرية العامة للتأليف ج9 ، 1963م.

- محمد خطابي: لسانيات النص: مدخل إلى إنسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، بيروت – لبنان:ط1، 1991م.

- محمد العمري: في بلاغة الخطاب الإقناعي، مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية، الخطابة في القرن الأول نموذجا، إفريقيا الشرق، بيروت – لبنان: د ط ، 2002م.

- محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة، د ط، 2002م.

- مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب- دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، دار التنوير، حسين داي- الجزائر، ط1: 1429هـ – 2008م.

- نادية رمضان النجار، الاتجاه التداولي والوظيفي في الدرس اللغوي، مؤسسة حورس الدولية، الإسكندرية- مصر، ط1 :1434هـ -2013م.

- النحاس أبو جعفر: معاني القرآن الكريم، تحقيق: محمد علي الصابوني، جامعة أم القرى، ج1 ، ط 1 ، 1408هـ – 1988م.

- نعمان بوقرة: المدارس اللسانية المعاصرة، مكتبة الآداب، القاهرة- مصر، د ط ، دت.

- نواري سعودي أبو زيد: في تداولية الخطاب الأدبي المبادئ والإجراء، بيت الحكمة، العلمة- الجزائر، ط 1: 2009م .

- نور الدين أجعيط: تداوليات الخطاب السياسي، عالم الكتاب الحديث، اربد – الأردن ، ط1، 2012م.

3- المراجع المترجمة :

- آن روبول- جاك موشلار: التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ترجمة: سيف الدين دغفوس، محمد الشيباني، مراجعة: لطيف زيتوني، دار الطليعة، بيروت- لبنان ، ط1: 2003م.

- بيتركونزمان وآخرون: أطلس الفلسفة، ترجمة: جورج كتورة، المكتبة الشرقية ،ط2 :2007م.

- جورج يول: التداولية pragmatic، ترجمة: قصي العتابي، دار العربية للعلوم، بيروت- لبنان- دار الأمان، الرباط – المغرب،ط1: 1431هـ – 2010م.

- الجيلالي دلاش:مدخل إلى اللسانيات التداولية،ترجمة:محمد يحياتن، ديوان المطبوعات الجامعية، دط ،1992م.

- زتسيسلاف و أورزنياك: مدخل إلى علم النص، ترجمة: سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار، ط 1: 1424هـ – 2003م.

- ستيفن أولمان: دور الكلمة في اللغة، ترجمة وتعليق: كمال محمد بشير، مكتبة الشباب، د ط، د ت.

- فان ديك: علم النص مدخل متداخل الاختصاصات، ترجمة :سعيد حسن بحيري، دار القاهرة للكتاب، القاهرة – مصر ، ط1 :2001م.

- فرانسواز أرمينكو: المقاربة التداولية ،ترجمة: سعيد علوش، المؤسسة الحديثة،ط1 :1987.

-فليب بلانشيه: التداولية من أوستين إلى غوفمان، ترجمة : صابر الحباشة، دار الحوار، اللاذقية – سوريا، ط1 : 2007م.

4-المعاجم:

- ابن فارس(أبو الحسن أحمد): مقاييس اللغة، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ، مجلد 1، ط1 : 1420هـ- 1999م ، مادة دول.

- ابن منظور: لسان العرب، دار الحديث ،القاهرة- مصر، مجلد3 ، 1423هـ - 2003م مادة (دَوَلَ) .

- باتريك شارودو- دومينيك منغونو: معجم الخطاب، ترجمة: عبد القادر المهيري- حمادي صمود، مراجعة: صلاح الدين، دار كريتاس سيناترا، تونس، د ط، 2008م.

- بدوي طبانة: معجم البلاغة العربية، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض- السعودية، مجلد 1 ، د ط، 1402هـ – 1982م.

- جبور عبد النور: المعجم الأدبي، دار العالم للملايين، بيروت- لبنان، ط2 ، يناير 1984م.

- الخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين، تحقيق: مهدي المخزومي – إبراهيم السامرائي ، ج8، د ط، د ت.

- السيد أحمد الهاشمي: جواهر الأدب، دار الفكر، بيروت- لبنان ، ج1 ، ط1، 1431هـ- 1932م.

- الفيروز أبادي: القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، ط8 ، 1426هـ – 2005م.

-مجدي وهبة- كامل المهندس: معجم المصطلحات العربية في اللغة و الأدب، مكتبة لبنان، بيروت- لبنان، ط2 :1984.

- محمد عناني: المصطلحات الأدبية الحديثة، الشركة المصرية العالمية للنشر- لونجمان ،الجيزة- مصر، ط3 ، 2003م.

5 - الرسائل الجامعية:

- محمد مدور: الأفعال الكلامية في القرآن الكريم(سورة البقرة)- دراسة تداولية، إشراف: جودي مرداسي، كلية الآداب واللغات، جامعة الحاج لخضر، باتنة:2013- 2014م .

6 - المجلات والدوريات:

- إدريس مقبول: البعد التداولي عند سيبويه، عالم الفكر، العدد1، المجلد 33 يوليو- سبتمبر 2001م .

- خالد الحلبوني: الرسائل النثرية الشخصية في العصر العباسي، مجلة جامعة دمشق ، مجلد 25، العدد الأول والثاني، 2009م.

- رضوان الرقبي: الاستدلال الحجاجي التداولي و آليات اشتغاله، مجلة الحجاج، عالم الفكر، العدد2، المجلد 4، أكتوبر – ديسمبر 2011م.

- شوقي بدر يوسف: علاقة تكامل- سيميوطيقا العنوان في روايات نجيب محفوظ، مجلة العرب الأسبوعي، 2010م.

- عبد القادر رحيم: العنوان في النص الإبداعي: أهميته وأنواعه ، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية: العدد الثاني والثالث، جوان 2008م.

- ملاوي صلاح الدين: نظرية الأفعال الكلامية في البلاغة العربية: جامعة محمد خيضر – بسكرة ، جانفي 2009م.

- يمينة تابتي: الحجاج في رسائل ابن عباد الرندي، مجلة الخطاب، دار الأمل ، تيزي وزو – الجزائر، العدد الثاني، ماي 2007م.

7 - المراجع الأجنبية :

- C.k. orecchioni l'énonciation de la subjectivité dans le langage, Armand colin éditeur, paris, 1990.

- jacques Moeschler et Antoine Auchlin , Introduction à la linguistique Contemporaine , Edition, Armand colin , 2006 .

ثبت اصطلاحي

Englich	Français	العربية
aproach	approche	مقاربة
Pragmatics	pragmatique	تداولية
protasis	initiation	الاستهلال
Argumentation	argumentation	الحجاج
context	contexte	السياق
deixis	deixis	الاشاريات
prèsupposition	prèsupposition	الافتراض المسبق
inplicature	inplicature	الاستلزام الحواري
Speech actes	Actes des paroles	الأفعال الكلامية
assertive	assertifs	الاخباريات
directive	directifs	التوجيهيات
expressive	lexpressifs	التعبيريات
commissifs	commissifs	الالتزاميات
dèclarations	dèclarations	الاعلانيات
Argumentative connector	Connecteur argumentatic	رابط حجاجي
methode	mèthode	المنهج
Enunciation act	Acte d’ènonciation	فعل القول
Verb of propositional	Acte propositionnel	الفعل القضوي
Illocutionary act	Acte illocutionnaire	الفعل الانجازي
Perlocutionary act	Acte perlocutionnaire	الفعل التأثيري
sender	destinateur	المرسل
receiver	destinataire	المرسل إليه

فهرس الموضوعات

شكر وتقدير

إهداء

مقدمة.....أ- هـ

الفصل الأول: حدود ومفاهيم

1- تعريف بالمدونة وصاحبها.....07

2- مفهوم التداولية.....10

أ- المفهوم اللغوي.....11

ب- المفهوم الاصطلاحي.....15

3- نشأة التداولية وتطورها.....21

الفصل الثاني: العملية التواصلية واستراتيجيات الإقناع

1- الاستهلال.....33

2- السياق.....43

3- الحجاج.....54

أ- المثل.....55

ب- الشاهد.....59

ج- الروابط الحجاجية.....62

الفصل الثالث: تجليات المرتكزات التداولية

1- الإشاريات.....70

أ- الإشاريات الشخصية.....71
ب- الإشاريات الزمانية.....76
ج- الإشاريات المكانية.....81
د- الإشاريات الإجتماعية.....84
هـ- الإشاريات الخطابية.....86
2- الافتراض المسبق.....88
3- الاستلزام الحواري.....92
4- الأفعال الكلامية.....101
أ- الإخباريات.....110
ب- التوجيهيات.....114
ج- التعبيريات.....117
د- الالتزاميات.....118
هـ- الاعلانيات(الإيقاعيات).....120
خاتمة.....123
قائمة المصادر والمراجع.....128
ثبت اصطلاحي(عربي- فرنسي- انجليزي).....137
فهرس الموضوعات.....139

ملخص:

كان للمنهج التداولي- باعتباره آلية من الآليات الحديثة في تحليل النصوص والكشف عن ملابساتها- دور بارز في مقاربة فن من الفنون الأدبية النثرية المتمثل في " رسالة الهناء" لأبي العلاء المعري والتي تعد مدونة تراثية تجسد عملية التواصل الإنساني.

وقد بدت ملامح التداولية ومبادئها جلية في الرسالة حيث حاولنا الإلمام بأهم المبادئ والمفاهيم الإجرائية من خلال خطة تقوم على مدخل وفصلين تطبيقيين، وقفنا في المدخل على تحديد المفهوم اللغوي والاصطلاحي للتداولية عند كل من العرب والغرب، وتطرقنا إلى رصد مراحل نشأتها وتطورها ثم توجهنا إلى التعريف بالمدونة وصاحبها.

أما الفصل الأول تركز البحث فيه على جانب العملية التواصلية والاستراتيجيات التي اعتمدها المعري لإقناع مراسله بما ذهب إليه فجاء مقسما إلى: الاستهلال والسياق ثم الحجاج.

في حين حاولنا في الفصل الثاني الكشف عن أهم المرتكزات التداولية ومدى تجليها في هذه الرسالة حيث سُلط الضوء على الإشاريات بأنواعها(الشخصية والزمانية والمكانية والاجتماعية وكذلك الخطابية أو النصية) وعلى الافتراض المسبق ثم تلاهما الاستلزام الحواري والأفعال الكلامية التي تعتبر من أهم المباحث التداولية التي ركزت عليها جل الدراسات.

وقد تبين من خلال هذا البحث مدى غنى هذه الرسالة بجوانب مهمة من الدرس التداولي.

Résumé :

La méthode pragmatique qui est considéré comme un nouveau moyen dans le compte rendu a un role principal à l'appréciation d'un acte parmi les actes littéraires de la narration, exactement « Rissalete EL HANA » de « abi el ala el maàri », qui exprime un patrimoine et une communication interhumaine.

Les principes de la pragmatique apparaissent claires à cette lettre, on a essayé de généraliser les capitaux principes et les termes d'après un plan s'appuis sur une entré et deux chapitres pratique, et on a insisté de précisé le concept langage et idiomatique pour la pragmatique chez tout les arabes et les occidents, et on a suivit les étapes de son apparition et développement en suite, on a donné une définition de la codification et son auteure.

La recherche dans le premier chapitre s'appuis sur l'opération communicative et la stratégie suivie « El maàrri » pour persuader son inter locataire à ce qui il a abordé: l'initiation, contexte puis l'argumentation.

Puis, on a essayé dans le 2ème chapitre de développer les pivots pragmatiques et le spectre de son usage dans cette lettre, et elle a centré sur les déverses deixis (la personnalité, les évènements spatiaux-temporels, sociale, discours et textuelle), et aussi sur la suggestion primaire, puis le désire de conversation et les actes verbaux qui sont l'un des

principales recherches pragmatiques dans la majorité de ses études.

D’après cette recherche, la richesse de cette lettre a apparait dans différents aspects de ce cours pragmatique.

The summary:

The pragmatic method had - it is respected as a technique from the modern techniques about the analysis of texts and the disclosure of circumstances - a noticeable role in order to approach to one art from the literary arts prose wich is “Resalet Elhana “ by aba alala almaari, it is the code of heritage that embodies the process of human communication.

The pragmatic features and principals appeared clearly in El Resala that we tried to be familiar with the important principles and the performed concepts through a plan that is based on introduction and two applied chapters, in the introduction we stood to identify the concept linguistic and terminological of the pragmatic method when all Arabs and the west, And we talked about the monitoring stages of its emergence and development, then we turned to the definition of El Resala and its owner but in the first chapter, the research is focused on the side of communicative process and the strategies which were adopted by Almaari in order to convince his correspondent what he went to, so he came divided

the first chapter into: the initation, the context, and the argumentation.

While we tried in the second chapter to discover the most important pragmatic pillars and its clearness in this Resala where tonhighlight the kind′s indicatives(the personal, the temporal, the spatial, the social, and also the rhetoric or the scriptural), and the Presupposition then followed by the debatable requirement and the verbal acts which are considred as the most important pragmatic themes focus of the most of studies.

And it was found through this research over the richness of this Resala important aspects of the pragmatic lessen.